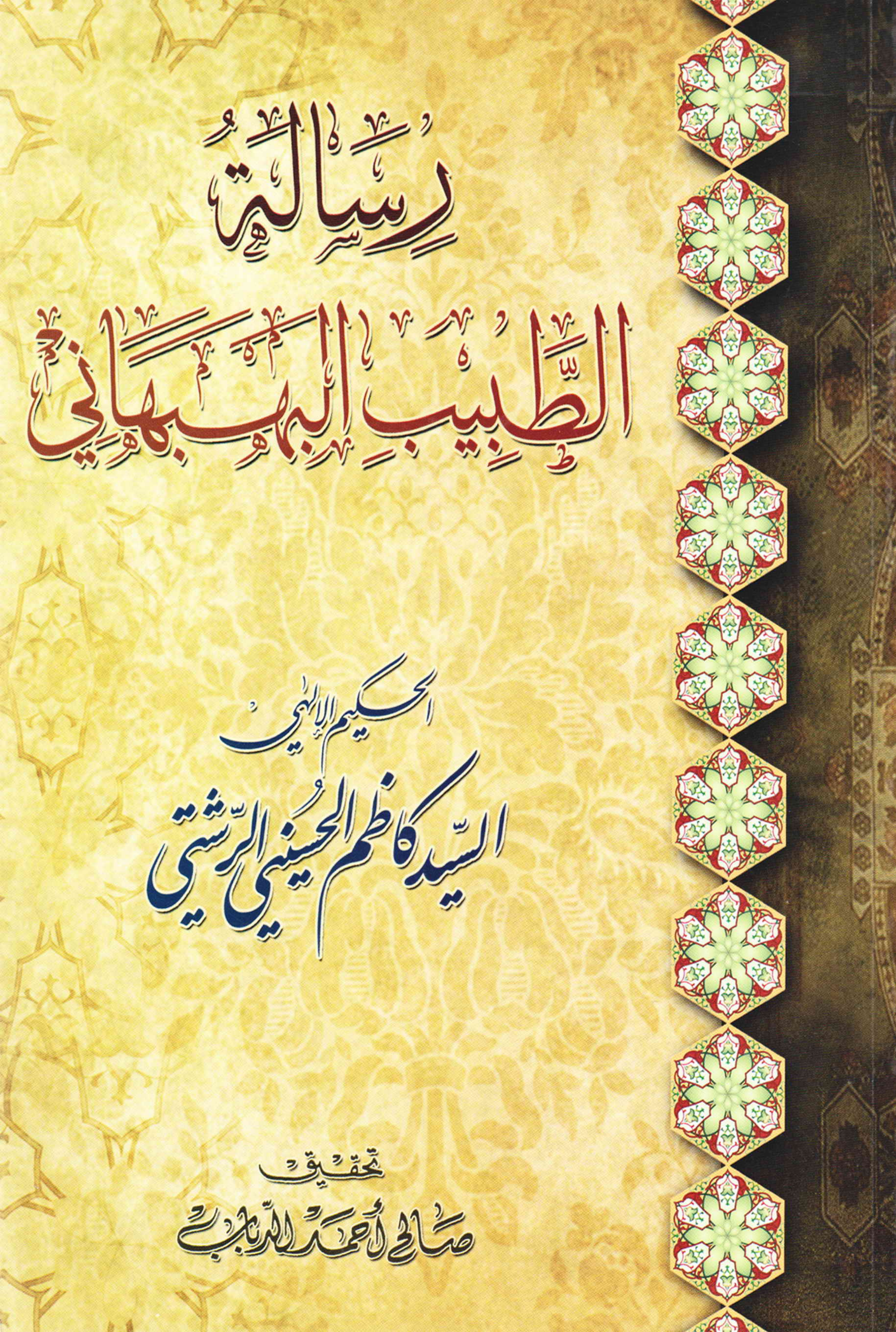
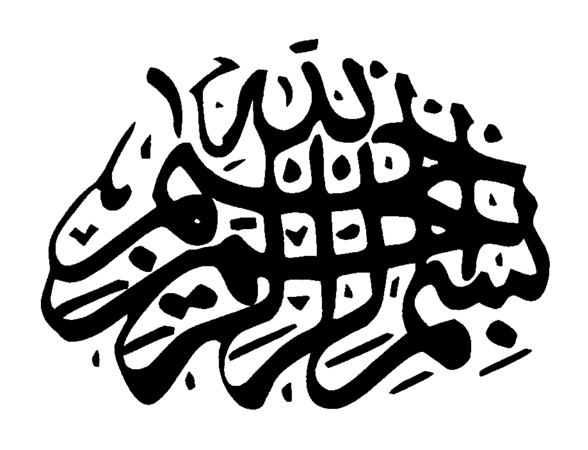

رسالة
الطبيب البهبهاني
الحكيم الإلهي
السيد كاظم الحسيني الرشتي
تحقيق
صالح أحمد الدباب

رسالة

الطبيب البهبهاني





رسالة
الطبيب البهبهاني

الحكيم الإلهي

السيد كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي قدس سره

تحقيق

صالح أحمد الدّباب

الطبعة الأولى 1427هـ/2006م



هوية الكتاب

اسم الكتاب :.. رسالة الطبيب البهبهاني

اسم المؤلف :............................. السيد كاظم الحسيني الرشتي تَتَّئُ

اسم المحقق :.. صالح أحمد الدّباب

اسم الناشر :.. مؤسسة شمس هجر

مكان الطباعة :.. بيروت لبنان

بريد المحقق على شبكة الإنترنت

saleh335@naseej.com

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع ...

إلى أم أبيها ...

إلى زوجة ولي الله تعالى ...

إلى من تربى في أحضانها الحسن والحسين ...

إلى من عصرت بين الحائط والباب ....

إلى من أسقطت جنينها ...

إلى سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء سلام الله عليها ...

راجياً منها القبول والشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم .

صالح أحمد الدَّباب

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، واللعن الدائم على منكريهم ومنكري فضائلهم، من الآن إلى قيام يوم الدين آمين يا رب العالمين .

عزيزي القارئ ... سوف يطرح لك هذا الكتاب مسائل مهمة للغاية، **أولها** : التوحيد ومراتبه، **وثانيها** : أهل البيت عليهم السلام مراتبهم ومقاماتهم وولايتهم، **وثالثها** : المعاد في يوم القيامة .

كل معرفة من المعارف، وكل صفة من الصفات، وكل فعل من الأفعال، التي تتعلق بإثبات وجود الرب تعالى وصفاته وأفعاله، من أهم المعارف وأشرفها علماً لدى الإنسان؛ لأن معرفة الخالق عز وجل وصفاته وأفعاله أمر يوجبه العقل والنقل معاً .

ولقد تاهت وضلت الأفكار في معرفة تلك المعارف، واختلفت الآراء والألسن في معرفته تعالى وصفاته وأفعاله؛ لأنه مبدأ الكل، وفياض الخير .

فحيث أن الوحدانية تعد من أهم الصفات التي يتصف بها الباري تعالى، فقد تعددت مراتب التوحيد من حيث الموحِّد له عز وجل إلى أربع مراتب رئيسية؛ لأنه تعالى لا شريك له في ذاته، ولا صفاته، ولا أفعاله، ولا عبادته .

ثم لا يخفى ما لأهل بيت العصمة عليهم السلام من الفضل وجلالة القدر والمحبة والمودة عند الله عز وجل؛ لأنه قرن طاعتهم بطاعته، ومحبتهم بمحبته، كما في الزيارة عنهم عليهم السلام: (**مَنْ أَطاعَكُمْ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ**)، لأن الهدف الأسمى، والغاية الأساسية من خلق الإنسان؛ هو عبادة الله تعالى ومعرفته، قال عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، وقال في الحديث القدسي: (**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف**).

فالطريق إلى معرفته سبحانه لا يمكن أن يطلع عليها كل أحد من البشر؛ لأن البشرية تحتاج في سيرها التكاملي، إلى من يأخذها بيدها إلى الطريق السليم الصحيح، ولكي لا تنقطع الصلة بين الخالق والمخلوق بعد النبي صلى الله عليه وآله، جعلت الإمامة التي تعد الأصل الرابع من أصول المذهب لدى الإمامية، فإن المفهوم الكلي للإمامة في أذهان البشر يتمركز في أفراد معينين، يكونون واسطة بينهم وبين الله عز وجل.

ومن جهة ثالثة هذه الحياة التي لا بد لها من نهاية هي عبارة عن الموت والفناء، وبعد اندثار الموجودات كلها، تبدأ صفة حياة الآخرة، التي مآلها إلى الدوام والبقاء، بل الإنسان لم يخلق إلّا لهذه الحياة الخالدة، والنهاية الباقية، وهذا أمر ليس مجرد ادعاء، بل أمر قام عليه الدليل والبرهان.

ففي هذا الكتاب يطرح مؤلفه قدس سره السيد كاظم الحسيني الرشتي ثلاثة أسئلة -من المسائل المهمة، والتي يجب على كل فرد أن يعتقد بها

اعتقاداً جازماً- سألها إياه أحد مريديه ومحبيه، الدر الفاخر، والنور الزاهر، والبحر الزاخر، والعلم الباهر، قدوة أولي المعالي والمفاخر؛ الميرزا محمد باقر الطبيب البهبهاني، وحيث كان أهلاً للإجابة أجابه قدس سره بما هو الميسور، لأنه لا يسقط بالمعسور، وإلى الله ترجع الأمور .

خطوات تحقيق هذا الكتاب

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة موجودة ضمن مجموعة الرسائل في المجلد الثاني، للسيد المصنف قدس سره، الصفحة رقم «٣٤٧»، والتي تحمل ما بين صفحاتها : «٣٣ سطر»، ومقاس الصفحة «١٢×٢١سم تقريباً»، وعدد صفحاتها ما يقرب إلى «١٩صفحة» .

وبعد مطابقتها وتقطيعها وترقيمها، أرجعنا الآيات والروايات التي اقتبسها المؤلف قدس سره إلى مصادرها الصحيحة قدر الإمكان، مع ضبطها وإكمالها في الهامش، ومع ما بذل من الجهد، فقد يرى القارئ العزيز بعض الروايات التي لم يتم العثور على تخريج مصادرها في المصادر التي لدينا، فنلتمس العذر والسماح .

ولكي يستفيد القارئ الكريم أدرجنا لكل مطلب عنوان يناسبه، حتى يحصل على الفائدة المطلوبة إن شاء الله تعالى .

وختاماً؛ أشكر الله أولاً وآخراً على توفيقه لإخراج هذا الكتاب، وأن يجعله ذخراً لي يوم لقائي به، ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ .

وثاني شكري إلى كل من ساهم في إخراج هذا الكتـــاب، وعلـــى الخصوص أخي العزيز؛ الشيخ **سعيد محمد القريشي** حفظه الله وأبقـــاه، سائلاً المولى القدير أن يحشره مع محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

نسأل الله تعالى أن يستفيد من هذا الكتاب جميع المؤمنين والمؤمنات بحق حبيبه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وصلى الله على محمـــد وآلـــه الطيـــبين الطاهرين المعصومين المنتجبين .

الراجي عفو ربه

صالح أحمد الدّبّاب

٦-١١-١٤٢٧هـ / ٢٧-١١-٢٠٠٦م

اما في الطعوم فما اختلط من طعمين وفي الالوان من تركيب من لونين او تركيبه وفي الملوثات المركب من شيئين وفي القلائد والمركب من كمين وفي
في الامكنة البحار وفي المساكن الاسواق ودور المصورين وما يعرض الشابين وفي البلاد مكة والمدينة ومعراى وديلم وجيلان وطبرستان وفي
الفلزات النورة والزيبق والكهرباء والزيتونة الفلزات بين وبيح وكلا منه منالته وفي الاشجار كل شجرة فوقه الرابعة وفي الموضع الثالث او الماشر
والكهرباء والكرنب وفي الادوية فما تام بحرارتها على بعد بها او ابرح الغاية فيكون محبوبة ولا ينفع الا العابا ام او يضر بها ولا يستعمل الا عماد في القوة
الفكر وفي الحيوانات الابيع الكلاب المعلمة والحمير والبغال والثعالب والارنب وكل حيوان صغير يعني او نملة وفي الطيور الحمام والصقور والبزلة
وطيور الماء وفي الاعضاء البسيطة العروق النابضة وفي الاعضاء المركبة الثان وفي الات المرل الذوق وفي الاسنان العيني وفي الانشاب
العينان وفي الصور مربع القامة ادم بعض بالى الحمرة بين البنية غليظ الاذنين حسن الملبس حسن الانف واسع الفم صغير الاسنان خفيف اللحية
دقيق الشعر حسن النظر طويل القدمين وفي الاخلاق الباطنة الذكاء والفطنة والعلم والسكينة والوقار والعطف والرافة والحفظ والشوق في كل
امر والحرص على اللذات وكتمان السر والمحبة وحفظ حقوق الاخوان والكف عن الشر وفي الافعال الظاهرة الظرف بعد العفو ومداومة الاخلاق عن
الاطلاع على الاسرار والحرص على الرئاسة والذكر وطاعة الله والمكر والخداع وفي الافعال والطباع حسن التعليم والادب والرحم والمنطق وعلوم
الربوبية وطول الكلام سريع حسن الصوت حافظ الاخبار معتدل الابل كثير الرؤيا ما من الامتلاء كثير الموت منهم سريع في الاعمال حريص على
الاصطياد من الوظايف يدل على السعادة والسرعة وفي اطباق الناس التجار والكتاب واصحاب الدواوين والنشابيين وفي الاديان الشاكرة
من الناس وفي كل دين بين المذكورات وامثالها مما البهتان ظاهران او اكثر انا بعطارد ومقابلته وانما صورته فله صورتان احدهما
شاب راكب طاوس في يمناه حية وبيسراه لوح يقرؤه والثانية رجل جالس على كرسي بيده مصحف يقرؤه وعلى راسه تاج وعليه ثياب خضر وصفر
هذا الوقت ان اسبغ الله عليه جزيل نواله ووجب لو يسال عن العشر ومن ثان ونصف فانه لو نعرض لشرح احواله لان الجواب على قدر السؤال
لو ندم في السؤال هو فالرد نافع الجواب كذلك الا ان فيها استان من فوائد الجليلة وما فيها مطلبه من الفرح العظيمة بين رجال العصر منهما
للمدقق النظر وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا

رسالة الميرزا باقر بسم الله الرحمن الرحيم الطبيب البهبهاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة على اعدائهم اجمعين اما بعد فيقول العبد الجاني
والاسير الفاني كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي ان البدر الفاخر والنور الزاهر والبحر الزاخر والعلم الباهر مهذب اركان المعالي والمفاخر الميرزا
محمد باقر الطبيب البهبهاني حرسه الله عن شر كل فاسق غادر قد ذكر جمع في مشهد مولانا وسيدنا الحسين عليه الصلاة والسلام وسالني
مسائلين عظيمتين جليلتين في يوم مسافرته عن تلك الارض المقدسة والبقعة المنورة على من حل فيها الاف الثناء والتحية وكان ذلك
في زمان قد تراكمت على امواج الهموم وافواج الغموم ولما كان سلمه الله اهلا للاجابة كتبت له مختصر الجواب واشرت الى فوائد امتازت
اجابته في كل باب فلما رجع الى موطنه ما رضي بالاختصار الح علي بالبسط في المقال واورد فيهما بسؤال اخر لعلمهما في الاطلاق والاشكال فلما
كاتبه ايده الله بمراجعة عن تلك المشهد وعزم الى مشهد الرضا عليه السلام وكان مستعجلا لارسال الجواب فوعدته ان املي على تلك المسائل
في بعض المنازل فعاقني ما اراد به الله سبحانه ومكنني مع كمال اشتغال البال بمعاناة الحل والارتحال وجود الفرصة بتوفيق الكريم لذلك
الملال ومع ذلك لا ينبغي ان اكتب كلما اعلم اذ ما كل ما يعلم يقال لان من الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل ومن العلوم ما تحتمل ومنها ما لا تحتمل
شيئا مما للسائل بل اكتب ما هو الميسور لانه لا يسقط بالمعسور والى الله ترجع الامور ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وجعلت
كلامه سلمه الله تعالى متنا وجوابي كالشرح له ليطابق كل جواب بسؤاله كما هو عادتي في اجوبة المسائل قال سلمه الله تعالى
مولانا وسيدنا وفقكم الله وفضلكم لسندعي ونلتمس من جنابك العالي ان يبين لنا مراتب التوحيد ومقام الوحدة والتفريد ليكون تذكرها
سبب الزيادة الخضوع والخشوع والتذلل والعبودية على الوجه الاكمل بتمام اوقات الثلاث الصلاة اقول التوحيد له
مراتب بحسب ذاته ومراتب بحسب الوحدة بالكثرة وقوله بحسب ذاته يعني بحسب التعلق والا فالتوحيد مع تعدد المراتب ما ينافي وهذه

صورة الصفحة الأولى من النسخة الحجرية

عشرين شهر ربيع المولود مع كمال اختلال البال واغتشاش الأحوال وعروض الأمراض المانعة من استقامة الحال مع ما يرد من هجوم أمواج الهموم والغموم والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تمّت

بحمد الله تمام [illegible]
[illegible]

بحمد الله [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعاديهم ظالميهم ومنكري فضائلهم في التدوين والتكوين وبعد لما كانت هذه الرسائل المقتبسة من مشكاة الرسالة النبوية لدقائق المطالب موصلة إلى جمل المآرب كاشفة عن الأسرار المودعة في السنة والكتاب تذكرة وذكرى لأولي الألباب شفاء ورحمة للمؤمنين كما أنها خسار للظالمين المعاندين قد صدرت عن جناب العالم الرباني والفرد الذي ليس له ثاني ناموس الدهر وتاج الفخر وعلامة العصر ركن الإسلام والمسلمين قطب الإيمان المؤمنين العدل الثاني عز الدين [illegible] تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين حضرة مولانا [illegible] الأغالي والأعاظم سيدنا جناب الحاج [illegible] أعلى الله [illegible] في الدارين أعلامه [illegible] عليها من [illegible] العلم والحكمة [illegible] الطالبين الهدى والرحمة فلكانت [illegible] كالكبريت الأحمر إذ لا توجد في الأكثر [illegible] والاستفادة من مطالعتها [illegible] وساعد الزمان [illegible] السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم معز المؤمنين ومذل الكافرين والمعاندين [illegible] بالأمان [illegible] الإسلام والإيمان ناصر الملة والدين سلطان السلاطين وخاقان الخواقين السلطان ابن السلطان الخاقان ابن الخاقان ابن الخاقان [illegible] ناصر الدين شاه قاجار [illegible] بالنصر من مدد الرحمن أدام الله تعالى دولته [illegible] العباد [illegible] وعلى أهل [illegible] وعلى [illegible] رتبة أمين [illegible] العالمين [illegible] العالم الإلهي والواقف على [illegible] العلم [illegible] المجتهد [illegible] الملة والدين ثقة الإسلام والمسلمين فريد الدهر ووحيد العصر مولانا الحاج ميرزا محمد شفيع الصدر أطال الله بقاءه [illegible] جعلنا من [illegible] طبع تلك الرسائل المباركة ونشرها على المؤمنين [illegible] والطالبين لمعرفة الحق واليقين [illegible] التوفيق وابتياع تلك النسخة [illegible] والجناب العالي [illegible] المؤيد [illegible] بإعانة الدين والإيمان مقرب الخاقان سليمان خان ابن المرحوم المبرور [illegible] خان زاد الله إرشاده وأجزل إمداده

فطبع ووقف هذه النسخة المباركة المنيفة والمجموعة الشريفة بمجموعها [illegible] وقفا صحيحا شرعيا بحيث لا تباع ولا ترهن ولا تغير ولا تبدل [illegible] والطالبين للمطالب الحقة فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه وقد اتفق الفراغ في دار السلطنة [illegible] عن [illegible] في عشرين شهر ربيع الثاني بعد الألف والمائتين [illegible] حامدا مصليا مستغفرا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

في [illegible]
١٢٧

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الحجرية

السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره

اسمه ونسبه الشريف قدس سره

هو الفرد الصمداني، والرشح الملكوتي، والنور الألمعي، السيد كاظم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد حبيب المدني[1] الحسيني أباً، والموسوي أُمّاً، والرشتي مولداً، والكربلائي مسكناً ومدفناً[2] .

بلدته ومولده قدس سره

كان جدُّ السيد كاظم السيد أحمد وآباؤه من المدينة المنورة ورؤسائها وزعمائها وسادهًا، وقد رحل عنها السيد أحمد بعد وفاة أبيه إلى رشت؛ لظهور مرض الطاعون، وتزوّج منها، وولد لَه ولد أسماه السيد قاسم حتى بلغ وتأهل ورزقه الله ولداً عام : «١٢١٢هـ» أسماه السيد كاظم .

مشائخه في الرواية قدس سره

١- أستاذه المولى الأجل الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٤١هـ» .

---

(١) فهرس كتب المرحوم الشيخ أحمد الأحسائي الأوحد، ج١، ص١٤٦ .

(٢) وصية السيد – المترجم له – مجموعة الرسائل، ج١، ص١ .

٢- المقدس المحدّث المبرور العلّامة السيد عبد الله شبّر تَدَّسُّ المتوفى عام : «١٢٤٢هـ» .

٣- العالم الرباني والفرد الصمداني الملا علي البرغاني تَدَّسُّ .

٤- العلاّمة الكبير والفهّامة النحرير الشيخ موسى بن أفقه الفقهاء الشيخ جعفر كاشف الغطاء تَدَّسُّ، المتوفى عام : «١٢٤١هـ»[1] .

تلامذته تَدَّسُّ

١- كاشف الحقائق القدسية للمقامات المحمدية الشيخ محمد أبي خمسين الأحسائي تَدَّسُّ، المتوفى عام : «١٣١٦هـ» .

٢- الحكيم الصمداني الميرزا حسن بن المرحوم الحكيم ملا علي النوري تَدَّسُّ .

٣- المرحوم الحاج الميرزا محمد حسين حجة الإسلام التبريزي تَدَّسُّ، المتوفى عام : «١٣٠٣هـ» .

٤- العظيم الشأن السيد محمد باقر الخراساني تَدَّسُّ .

٥- المقدس المبرور الميرزا شفيع ثقة الإسلام التبريزي تَدَّسُّ .

٦- العلامة الكبير الميرزا حسن بن علي القراجه داغي التبريزي تَدَّسُّ، المشهور بكَوهر، المتوفى عام : «١٢٦٦هـ» .

وغيرهم الكثير من العلماء والحكماء قدس الله أسرارهم؛ لم نذكر أسماءهم مراعاةً للاختصار .

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١، ص٢٢٧ .

آثاره العلمية تتئُ

مصنفاته عجيبة، فهي مملوءة بنور الحكمة، وجواهر المعرفة وحقائق الشريعة، وأسرار الخلقة، فهي تربوا على المائتين والثلاثين صنفاً، ذكر بعضها في كتابه دليل المتحيرين، منها :

١- شرح الخطبة الطتنجية؛ وهو جزءان في مجلد واحد، وقد طبع مؤخراً في ثلاثة مجلدات .

٢- اللوامع الحسينية؛ وهو في الحكمة الإلهية .

٣- مطالع الأنوار .

٤- شرح القصيدة .

٥- شرح آية الكرسي، صنفه وهو ابن عشرين سنة .

٦- شرح على شرح الزيارة الجامعة لأستاذه الشيخ الأوحد -غير تام- .

٧- المجالس والمواعظ .

٨- الأربعون .

٩- مجموعة رسائل؛ وهو مجلدان يضم «٥٨ رسالة» من تصانيفه .

وغير ذلك من المصنفات في مختلف العلوم والفنون .

وفاته ومدفنه تتئُ

تُوفي مسموماً من قِبَلِ نجيب باشا -والي بغداد- وهو راجع من زيارة العسكريين إلى الكاظمية، حيث استدعاه وسقاه قهوة مسمومة[(١)]

(١) هداية الطالبين، ص١٥٤- ١٥٥ .

في ١١ ذي الحجة الحرام عام : «١٢٥٩هـــ» وعمره الشريف ٤٧ سنة، وقد جهَّزه وصلى عليه تلميذه الشيخ الميرزا حسن جوهر بوصية منـــه[1]، ودفن في الحرم المطهر تحت أرجل الأنصار في الحضرة الحسينية بكـــربلاء المقدسة، فسلام عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً .

(١) الرسائل المهمة، ص٤ .

[تمهيد]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه، محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين .

أمّا بعد؛ فيقول العبد الجاني، والأسير الفاني، كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي، أن الدر الفاخر، والنور الزاهر، والبحر الزاهر، والعلم الباهر، قدوة أولي المعالي والمفاخر؛ الميرزا محمد باقر الطبيب البهبهاني -حرسه الله من شر كل غاشم غادر- قد واجهني في مشهد مولانا وسيدنا الحسين «عليه الصلاة والسلام»، وسألني عن مسألتين عظيمتين جليلتين، في يوم مسافرته عن تلك الأرض المقدسة، والبقعة المنورة، «على من حل فيها آلاف الثناء والتحية»، وكان ذلك في زمان قد تراكمت عليَّ أمواج الهموم، وأفواج الغُموم .

ولما كان -سلمه الله- أهلاً للإجابة، كتبت له مختصر الجواب، وأشرت إلى مراده إشارة إجمالية في كل باب، فلما رجع إلى موطنه ما رضي بالاختصار، ألح عليَّ بالبسط في المقال، وأردفهما بسؤال آخر أعظمهما في الإغلاق والإشكال، وأتى كتابه -أيّده الله- حين خروجي عن ذلك المشهد، وعزمي إلى مشهد الرضا عليه السلام، وكان مستعجلاً لإرسال الجواب، فوعدته أن أملي على تلك المسائل في بعض المنازل، على ما أراد حسبما أراد الله سبحانه، ومكّنني مع كمال اشتغال البال، بمعاناة الحلّ والارتحال، وجمود القريحة بتوفّر الكلال والملال، ومع ذلك لا

يسعني أن أكتب كل ما أعلم، (**إذ ما كل ما يُعلم يُقال**)[1]، لأنَّ من الناس مَنْ يحتمل، ومنهم مَنْ لا يحتمل، ومن العلوم ما تُتَحَمَّل، ومنها ما تُحْتَمَل، سيما علم هذه المسائل، بل أكتب ما هو الميسور؛ لأنه لا يسقط بالمَعْسُور، وإلى الله ترجع الأمور، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، وجَعَلْتُ كلامَهُ -سلّمهُ الله تعالى- متناً، وجوابي كالشّرح له؛ ليطابقَ كلُّ جواب بسؤاله، كما هو عادتي في أجوبةِ المسائل .

[مراتب التوحيد]

قال -سلّمه الله تعالى- : مولانا وسيدنا، وفقكم الله وفضّلكم، نستدعي ونلتمس من جنابك العالي، أن يُبَيِّن لنا مراتب التوحيد، ومقام الوحدة والتَفريد، ليكون تَذَكُّرُها سبباً لزيادة الخضوع والخشوع، والتذلل والعبودية، على الوجه الأكمل، سيما في الأوقات الثلاثة للصلاة .

أقول : التوحيد له مراتب بحسب ذاته، ومراتب بحسب الموحِّد -بالكَسرِ- وقوله : بحسب ذاته؛ يعني بحسب المتعلق، وإلَّا فالتوحيد مع تعدد المراتب ممّا يتناقض .

وهذه المراتب إنما تحصل في حال كون الشخص في عالم التفصيل، وتمايز المراتب، وإلّا فعند توجهه إلى كل مرتبة، لا يجد هناك تعدداً إلَّا باختلاف النظر في الذوات الْمُتَأَصلَة، فالتوحيد توجهك إلى الواحد، وهذا المعنى المصدري ليس كغيره أمراً اعتبارياً، كما زَعمه القوم، وإنما هو ذاتٌ

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص٤٩٤، تتمة ما تقدم من أحاديث الرجعة . بحار الأنوار، ج٥٣، ص١١٥ .

متأَصِلَة، اشتق منها الموحد، والموحد -اسم الفاعل، واسم المفعـول- لا كاشتقاق الفرع من الأصل إلّا في التعبير، كما هو الأصل في الاشـتقاق، لأنه اقتِطاع فرع من أصل، وذلك لضيق دائرة الألفاظ، بل لضيق عـالم التفصيل، فضلاً عن دائرة الألفاظ، بل هذا الاشتقاق كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها**)[1].

وإذا دققت النظر، وأمعنت الفكر، وجدت الحال هكـذا في كـل المشتقات؛ لأنها كلها تحصلت من التوحيد، وهو الأصل في كل قريـب وبعيد، وضعيف وشهيد، فلنقبض العنان، فللحيطان آذان .

[توحيد الذات]

فمراتب التوحيد أربعة؛ **الأولى** : توحيد الذات؛ بأن لا تَجْعَل مـع الله إلهاً آخر شريكاً له في ذاته، وقدمه وأزليته، وإلّا لم يكن إلهـاً، فـإن الاشتراك يستلزم المغايرة، بأن ما به الاشتراك عين ما به الامتيـاز ينفـي الاشتراك، إذ لا يعقل أن يكون شيئاً واحداً من حيث ما هـو مشـترك متميزاً؛ لأن الامتياز لا يكون إلّا في محل صلوح الاشتراك، فـإذا امتنـع صلوح الاشتراك امتنع الامتياز، وإذا امتنع الامتياز امتنع التعدد في تلـك المرتبة؛ لأن الإثنينية إنما تحققت بعد امتيازهما، فإذا صح الاشتراك، وذكر الغير، امتنع أن يكون ما به الامتياز غير ذلك، وإلّا لم يذكر الغير، وذلك واضح لمن أغمض عين الجدال .

---

(١) نهج البلاغة، ص١٩٨، خطبة : ١٨٦ . الاحتجاج، ج١، ص٢٠١، احتجاجه فيما يتعلق بتوحيد الله .

والقول : بأن الاشتراك في مفهوم العرض، فهما متباينان ومتمايزان في الذات، لا يصدق أحدهما على الآخر، وصدق الوجوب والوجود عليهما بالعرض، كما هو شبهة ابن كمونة(١)، بنفي الإلهية للإثنين أو أزيد، إذ الوجوب والوجود إن كان صدقهما عليهما بالعرض، فليسا بواجبين في الذات، ولا موجودين فيها، وإلَّا لم يكونا عرضين، فالذات التي ليست بواجبة ولا موجودة، لا تكون إلهاً، وعلى ما ذكرنا ينطبق مثالهم من ذكر صدق الماشي على الإنسان وغيره، فإن المشي ليس ذاتياً للإنسان ولا لغيره، ولذا إذا نظرت إليهما في حد ذاتهما، تنسى المشي وغيره .

والقول : بأنه كصدق الإنسان الكلي على زيد وعمرو فاسد؛ فإنَّ صدقه عليهما ذاتي لا عرضي، وقد أقمنا براهين عقلية ونقلية على ذلك، في سائر رسائلنا ومباحثاتنا، وأجوبتنا للمسائل، وبيَّنا أن الكلي الطبيعي، والعقلي والمنطقي، موجود في الخارج، وأن المفاهيم مزايا للأعيان الخارجة، صفة استدلال عليها، لا فرق بينها وبينها إلَّا أنها صفتها وأثرها، ولا يقتضي المقام لتحقيق هذا المرام .

---

(١) **ابن كمونة** هو : «منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة، قيل : أنه توفي عام : «٦٨٣هـ»، وقيل : «٦٧٦هـ»، له عدة مؤلفات منها: شرح على الإشارات . وشرح على تلويحات السهروردي، وغير ذلك في المنطق والحكمة والكمياء» . [كشف الظنون، ج١، ص٩٤-٣٩٣-٤٨٢] .

وهذا التوحيد لا يحتاج إلى الاستدلال، إذ لا يتصور الشريك حتى يجوز، فيحتاج إلى دليل للنفي، لأن التوجّه إلى المبدأ لا يكون إلّا بعينه لا بعينك، (**اعرفوا الله بالله**)[1]، وعينه لك لتعرفه بها، هو ذاتك وفؤادك وحقيقتك، وليست هناك جهة وجهة، وكيف وكيف، وامتياز واقتران، واتصال وانفصال، واشتراك ومغايرة، حتى يتصور ملاحظة الغير، فأين تجويز الشريك؟، وأين فرضه؟، وأين ذكره؟، وما فرضوا من توهم الشريك بالتصور، فإنما هو في مقام النفس، وهو مقام الاحتجاب عن الحق، فلا يعرف بها الله، وإنما يعرف بها سواه في الوجه الأسفل، إلّا أن أهل الرسوم من أهل المجادلة، لما كان مقامهم عالم النفوس، ورتبتهم الكثرة والاختلاف، وقعوا فيما وقعوا من المناقضات، والاختلافات والمكاثرات، ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[2]، ﴿**قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[3].

[توحيد الصفات]

الثانية : توحيد الصفات؛ بأن لا تجعل معه تعالى شريكاً في صفاته، ولا تقول : إن الصفات تصدق عليه تعالى وعلى غيره بالاشتراك معنوياً

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٤٠، ح١، باب : أنه لا يعرف إلّا به . بحار الأنوار، ج٣، ص٢٧٠، ح٧، باب : ١٠ .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٩١ .

كان أم لفظياً، فإن الاشتراك المعنوي يورث التركيب في الصفة الخاصة به تعالى، ولا يصح ذلك؛ لأنها عين ذاته المقدسة .

والقول : بأن الاشتراك في المفهوم لا في المصداق، فكلامٌ فاسدٌ لا يُعْبَأ، لأن المفهوم لا يخالف المصداق، لأنه كالوجه المنطبع في المرآة عن زيد الخارجي، فالوجه دليل زيد، فمن حيث الدلالة لا فرق بينه وبينه، ومن حيث الذات والحقيقة أثره لا يوصف زيد به، كما حققنا ذلك في كثير من مباحثاتنا، وأجوبتنا للمسائل .

فإذا كان المفهوم دليلاً للمصداق، فالأحكام الجارية عليه بعينها أحكام المصداق كذلك، فإن كان الاشتراك فالاشتراك وإلَّا فلا، فلا يصحّ حينئذٍ أن تقول : إن العالم مثلاً موضوع لمن له العلم، فيصدق على الله تعالى، لأنه كذلك، وعلى غيره، لأنه كذلك، إلَّا أن الصدق بالتشكيك، فإن صدقه على الله تعالى أقدم وأشرف وأولى، وكذا قولهم : في الوجود وغيره، لكنهم لا يستشكلون، ولا يختلفون في الصدق المعنوي في غير الوجود، من سائر الصفات، والمعاني التي تطلق عليه تعالى، [و]على غيره تعالى؛ كالعلم والقدرة، والسمع والبصر وأمثالها، إلَّا أن اختلافهم في الوجود، هل يكون صدقه عليه تعالى وعلى غيره بالاشتراك اللفظي؟، أم الاشتراك المعنوي؟، فالأغلب على المعنوي، زاعمين بأن القول : باللفظي يورث الكفر، فإن فيه يشترط تباين المعنيين، فلما كان الوجود الصادق على الممكن، هو المعنى المعبّر عنه بالفارسي «هستي»، فلو كان ما يصدق عليه تعالى غيره، لكان مبايناً له، ومباين الوجود ليس إلَّا العدم، فيلزم أن يكون الله تعالى معدوماً، وذلك كفر .

وأقول : وكلامهم هذا يعطي أن يكون الوجود الذي يثبتونه لله تعالى، له مقابل ومباين، ويلزمهم أن يكون له ضد، وإثبات المقابل والمباين والمضاد لله تعالى كفر آخر، ولا ريب أن وجود الممكن له مقابل ومباين، كما اعترفوا به، فلا يكون ذلك المعنى ثابتاً له تعالى؛ لاتفاق المسلمين على نفي المقابل والمباين له تعالى، لاستلزامهما النسبة المستلزمة للاقتران، المستلزم للحدوث، الممتنع من الأزل، الممتنع من المحدث، لأن النسبة هي علة اقتران المنتسبين، واتصالهما وارتباطهما، وإلّا لَبَطُل الاقتران، كما قرر في المنطق .

والتقابل والتضاد والتناقض، كلها من أقسام التباين، وهي إحدى النسب الأربع، التي لا يخلو الممكن منها، فإذا بطلت النسبة في حقه سبحانه لاستلزامها الاقتران، بطل إثبات الوجود، الذي يصح ويصدق على الممكن لله تعالى .

وشاذون منهم قالوا : بالاشتراك اللفظي، حيث منعوا اتحاد الرتبة بين الممكن والواجب مطلقاً، مفهوماً ومصداقاً، وهذا أيضاً باطل، لا لما ذكروا، بل لأن الاشتراك اللفظي شرطه وضع اللفظ للمعنى المباين، ووضع اللفظ لذاته الأقدس، مما ثبت امتناعه، وقد بسطنا القول في جواب المسائل التي أتانا من مشهد الكاظمين عليهما السلام، لعبد الله بيك، وحققنا هذه المسألة هناك، بما لا مزيد عليه، فمن أراد فليرجع إليه[1]، فإن القلب الآن مشغول، والإدراك مخمول لمشاق السفر .

(١) راجع مجموعة الرسائل، ج١، ص٢٣٢، المسألة الثالثة عشر .

وكذلك القول: في إثبات المباين له تعالى كما سبق، وبعضهم كالسيد قطب الدين الشيرازي وغيره، قال: بالحقيقة والمجاز، ونفي الاشتراك مطلقاً في الوجود والظاهر في غيره أيضاً من الصفات، وهذا أيضاً باطل؛ لأن الحقيقة والمجاز من أحكام اللفظ الموضوع وصفاته، فحيث بطل أصل الوضع في الذات -سبحانه وتعالى- بطل القول: في أن تلك الصفات، وضعت حقيقة لله تعالى، واستعملت في غيره مجازاً، ولأن المجاز لابد أن يكون بينه وبين الحقيقة علاقة، وأي علاقة بين أمرين؛ **أحدهما**: ممتنع عند الآخر، ولعمري أن السيّد أقر وأثبت بالأدلة القطعية؛ من العقلية والنقلية، بأن الله كان ولا شيء معه، والآن على ما هو عليه[1]، فأين ذكر الغير فضلاً عن الارتباط والعلاقة؟، وقد ذكرت فساد هذا القول في اللوامع الحسينية على أحسن وجه[2]، إلَّا أن يريد بها المعنيين، وهذا مع أنه فاسد أيضاً، غير ما نحن فيه، فافهم.

فإذا نفيت هذه المعاني عن صفاته تعالى، ونزهته عن مشاركة الغير معنى ولفظاً، وعلاقة وارتباطاً، وجعلت صفاته تعالى عين ذاته تعالى، من غير فرض مغايرة، لا في المفهوم ولا في المصداق، إلَّا عند اختلاف الآثار، وجعلت هذه الألفاظ تعبيرات عنه تعالى، في مقام قول أمير المؤمنين

---

(١) قال رسول الله ﷺ: **(كان الله ولا شيء معه، وكذلك الآن)**. [هامش عوالي اللآلي، ج١، ص٥٥].

(٢) راجع اللوامع الحسينية «النسخة المخطوطة»، ص٤٣، باب: ٢ لمعة رقم: ٤. و«النسخة الحجرية»، ص٢٤٢، باب: ٢ لمعة: ٤.

عليه السلام : (رجع من الوصف إلى الوصف، ودام الملك في الملك، وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الاستنباط، وهجم الفحص عن العجز، والبلاغ على الفقد، والجهد على اليأس، انتهى المخلوق إلى مثله، فألجأه الطلب إلى شكله، الطريق مسدود، والطلب مردود، ودليله آياته، ووجوده إثباته...)[1] «بأبي هو وأمي» .

فقد جمع في هذه الكلمات جميع مقامات التوحيد والموحدين، فإذا كان كذلك فأنت الموحد لله تعالى في صفاته الذاتية، في مقام ذاتك، كما وحّدت ذاته تعالى فيها، ويثبت لك التوحيد الصفاتي، وإلّا فلا .

[الصفات الفعلية]

وأمّا الصفات الفعلية، فكذلك لا اشتراك بينها وبين الخلائق؛ أي : الآثار الصادرة بها، اشتراك في مقام الاطلاق، لا من باب الاشتراك اللفظي، ولا المعنوي بقسميه؛ من التواطي والتشكيك، لعدم اتحادهما في الوضع، ولعدم المباينة لحدوثها بها، لأن المسبب لا يكون مبايناً لسببه، وإلّا لم يكن كذلك، بل الأثر دليل لمؤثره، فأين التباين؟، ولا الحقيقة والمجاز إلّا المعنويين، لأن علامات الحقيقة وأماراتها في الأحكام اللفظية، في كلا المقامين موجودة، فلم يبق إلّا الحقيقة بعد الحقيقة، وهذا باب عظيم في الألفاظ، لم يعثر عليه أهل اللغة الظاهرة، وإنما هو عند أهل اللغة العربية الحقيقية، مما عند أهل العصمة عليهم السلام، وبهذا ينفتح باب صحة القول :

---

(١) الخطبة اليتيمة، محفوظة في المكتبة الوطنية في طهران، ضمن مجموعة رسائل رقم : «٧٥٥ع»، ص٢٨٧.

بخصوص الوضع، وعموم الموضوع له، كما اتفقوا على بطلانــه، وقــد شرحت بعض أحوال هذا الباب ومفتاحه، في شرح الخطبة التطنجية، في مقام الخطاب الشفاهي، وهذا الذي ذكرنا هو الوجه الظاهري، في معنى التوحيد الصّفاتي .

وأما الوجه الحقيقي؛ فهو أن عالم الإمكان العمق الأكبر بما فيه، من حيث صدوره وحدوثه، كله اسم وصفة دالة على كماله تعالى، وجلاله وجماله، فإن الاسم على ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**مــا أنبــأ عــن المسمى**) .

وكل الخلق بفقرهم وحدوثهم منبؤون عن توحيده تعالى، وقد قال مولانا الرضا عليه السلام في الاسم أنه: (**صفة لموصوف**)[1]، ولهذه الجهة قال عليه السلام في حديث عمران الصابي : (**لــيس شــيء إلّــا الله، وأسمائــه وصفاته**)[2]، بعد ما قال هناك : (**حق وخلق لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما**)[3]، فافهم لحن المقال فإن (**العلم نقطة كثرها الجهال**)[4] .

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٣٥، ح٣، باب : حــدوث الأسمــاء . التوحيــد، ص١٩٢، ح٥، باب : ٢٩. معاني الأخبار، ص٢، ح١، باب: معنى الاسم .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٣٩، ح١، بــاب : ١٢ . التوحيــد، ص٤١٧، ح١، باب: ٦٥ . بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٩٩، ح١، باب: ١٩.

(٣) المصادر السابقة .

(٤) عوالي الــلآلي، ج٤، ص١٢٩، ح٢٢٣ . كشــف الخفــاء، ج٢، ص٦٧، ح١٧٦٠ .

فإذن ليس إلَّا ذاتاً واحدة هي الأزل ﷻ، وما سواها كلها صفات أفعاله، وشؤونات آثاره، وأسمائه وظهوراته، كما في الدعاء : **(لا يُرى فيه نور إلَّا نورك، ولا يسمع فيه صوت إلَّا صوتك)**[١]، فأين الاشـــتراك في الصفة؟، إذا كان العالم صفة .

ولما كان الشيء يعرف بصفاته لا بذاته، إلَّا للعالي لا لغيره، قـــال ﷻ: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَــيَّنَ لَهُـــمْ أَنَّـــهُ الْحَقُّ...﴾**[٢]، وقال سيد الساجدين عليه السلام في دعاء الســـحر : **(بـــك عرفتك، وأنت دللتني عليك)**[٣] طبقاً لما قال جده أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح : **(يا من دل على ذاته بذاته)**[٤]، وقـــال عليه السلام : **(مـــن عرف نفسه فقد عرف ربه)**[٥]، **(أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)**[٦] .

---

(١) مصباح المتهجد، ص٤٨٠، دعاء ليلة الخميس . مصباح الكفعمي، ص١٢٦، دعاء ليلة الخميس . البلد الأمين ، ص١٣٣، دعاء ليلة الخميس . بحار الأنوار، ج٨٧، ص٢٠٤، ح٣٤، دعاء ليلة الخميس، باب : ٩ .

(٢) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٣) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، إقبال الأعمال، ص٣٤٩، فصل في أدعيـــة عرفة . بحار الأنوار، ج٦٤، ص١٤٢، باب : ٢ أعمال يوم عرفة وليلتها .

(٤) بحار الأنوار، ج٨٤، ص٣٣٩، ح١٩، باب : نافلة الفجر وكيفيتها .

(٥) مصباح الشريعة، ص١٣، باب : ٥ في العلم . عوالي اللآلي، ج٤، ص١٠٢، ح١٤٩ . الجواهر السنية، ص١١٦ . بحـــار الأنـــوار، ج٢، ص٢٢، ح٣٢، باب : ٩ .

(٦) روضة الواعظين، ص٢٠ . الجواهر السنية، ص١١٦ .

ومولانا الحسين عليه السلام شرح هذا المقام في كلام في قوله عليه السلام في دعاء عرفة : (**إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار، فارجعني إليها بكسوة الأنوار، وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها، كما دخلت إليك منها، مصون السر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها، إنك على كل شيء قدير**)[1] .

ومعاني هذه الأحاديث كلها متحدة، وإنما خالفوا بين الألفاظ، لينبّهوا شيعتهم على الأسرار، ويصونوها عن الأشرار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، ومرجع ما قالوا عليهم السلام في هذه المقامات، كلها إلى التوحيد الصفاتي .

[توحيد الأفعال]

الثالثة : توحيد الأفعال؛ وهذا هو الداء العضال، ومزال أقدام الرجال، وأنكر هذا التوحيد طائفة، زعماً منهم بأنه ينافي الاختيار، في أفعال العباد، مع أن ذلك يحقق الاختيار في المبدأ والمعاد، وبيانه على ما يقرب إلى الأفهام في رتبة العوام، هو أن توحّد الله في أفعاله؛ بأن لا يشاركه أحد في فعله، ولا يستعين بأحد في إنشاء خلقه، ولا يستشير أحد في إيجاد بريته، ولا يستشهد أحداً حين فطر أجناس خليقته، بل هو سبحانه المستقل في فعله، المستبد برأيه، لا يشارك في أمره، ولا يضاد في حكمه، ولا يعترض عليه أحد في تدبيره، وهذا في أفعاله الخاصة به تعالى، وإن كان لغيره تعالى أيضاً فعل بإعانته تعالى، وإقداره إياه للفعل، كما في

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٥، ص٢٢٦ .

الأفعال الاختيارية للعباد، وهذا على مذاق العلماء، الذين يفرقون بين الذوات، والصفات الذاتية، واللوازم الخارجية، والأسباب الموجبة، والشرائط المتحققة، وبين الأفعال الصادرة الاختيارية، لا ما هي بغيره، كحركة يد المرتعش، ووقوع المتردي عن السطح، وفعل النائم والناسي والساهي، وأمثالها من الأفعال، فإنها كلها لا مدخلية للاختيار فيها، ويختص بها الله سبحانه، فأثبتوا الاضطرار فيما سوى الأفعال الصادرة على نحو الشعور، الذي يفهمون ويفهمه العوام، ظاهر واضح لا إشكال فيه .

وأما على مذاق من صدق الله سبحانه في قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ**﴾[١]، ﴿**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...**﴾[٢]، ﴿**مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾[٣]، ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[٤]، و﴿**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ**﴾[٥]، وأمثالها من الآيات .

وصدق أولياؤه المعصومين عليهم السلام، في قولهم : (**ليس لنا من الأمر إلّا ما قضيت، ولا من الخير إلّا ما حكمت**)[٦]، و(**لا يكون شيء في**

(١) سورة القمر، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة لقمان، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الملك، الآية : ٣ .

(٤) سورة الرعد، الآية : ١٦ .

(٥) سورة فاطر، الآية : ٤٠ .

(٦) الصحيفة السجادية، ص٤٨، دعاؤه عليه السلام في الصباح والمساء . وفي مصباح المتهجد، ص١٨٣ .

الأرض ولا في السماء إلّا بهذه الخصال السبع؛ بمشيئة وإرادة، وقضاء وقدر، وإذن وكتاب وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر)[١]، وفي رواية : (**فقد أشرك**) .

وفي الحديث القدسي : (**أنا الله الذي لا إله إلّا أنا، خلقت الخير فطوبى لمن أجريته على يديه، وأنا الله الذي لا إله إلّا أنا، خلقت الشر فويل لمن أجريته على يديه**)[٢]، وأمثالها من الروايات .

فلم يفرقوا بين الأفعال والذوات، والصفات والكينونات، مع مقاماتها من سائر اللوازم والشرائط، وسائر المتممات والمكمّلات، وكلها إنما أجرى بفعله سبحانه على أمر محكم، وصنع متقن، بما لا يؤدي إلى الاضطرار، فأعطى سبحانه الأشياء ما طلبوا منه، بألسنة الاستعدادات، وتلك الاستعدادات إنما تقوّمت بنور فيضه وفعله، عند خلق الكائنات،

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٤٩، ح١، باب : في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلّا بسبعة . الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٢١٩، ح١، باب : ٣٤ .

(٢) قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : إن مما أوحى الله إلى موسى وأنزل التوراة : (**إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق وخلقت الخير، وأجريته على من يدي من أحب فطوبى لمن أجريته على يديه، وأنا اللّه لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق وخلقتُ الشّر، وأجريته على يدي من أريده، فويل لمن أجريته على يديه**). [أصول الكافي، ج١، ص١٥٤، ح١، باب : الخير والشر . المحاسن، ج١، ص٢٨٣، ح٤١٤، باب : ٤٤ . بحار الأنوار، ج٥، ص١٦٠، ح١٩، باب : ٦] .

فلا قدم للقابليات، ولا حدوث للأشياء إلّا بها، فالأشياء إنما تكوّنت على جهة الاطلاق من أمره «كن»، واختياراتها وقابليّاتها، إنما نشـأت عنـد فـ«يكون»، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَـهُ كُـنْ فَيَكُونُ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّـا أَن يَشَـاء اللَّـهُ﴾[٢]، فاختلاف الأشياء بمشيئاتها الاختيارية، وهي القابليات، وهي إنما تقومت بالمقبولات، وهي متقومة بفعله تعالى، فالأفعال كلها منتسبة إليه تعـالى بـ«كن فيكون»، وذلك سر الأمر بين الأمرين .

وبيان حقيقة هذه المسألة، على ما يكشف القناع عن وجه المـرام، مما أبى الله إلّا كتمانه؛ لعدم تحمله العقول، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام لما سئل عن ذلك : **(بحر عميق فلا تلجه)** .

وسئل ثانية، قال عليه السلام : **(طريق مظلم فلا تسلكه)** .

وسئل ثالثة، قال عليه السلام : **(سر الله فلا تهتكه)**[٣] .

وقال الصادق عليه السلام : **(لا جبر ولا قدر، بل منـزلة بينهما أوسع ما بين السماء والأرض، لا يعلمها إلّا العالم، أو من علمه العالم)**[٤] .

---

(١) سورة يس، الآية : ٨٢ .

(٢) سورة الإنسان، الآية : ٣٠ .

(٣) التوحيد، ص٣٦٥، ح٣، باب : القضاء والقدر . روضة الـواعظين، ص٤٩، باب : في القضاء والقدر . وفي نهج البلاغة، ص٢٩٧، قصار الحكم، حكمة : ٢٨٧ باختلاف يسير .

(٤) أصول الكافي، ج١، ص١٧٨، ح١٠، باب : الجبر والقـدر والأمـر بـين ....←

فلو قدر الله المشافهة والملاقاة، لألقيت إليك من هذا الدر المكنون، والسر المصون، ما تطمئن به القلوب، وتقر به العيون، نعم ربما يحصل ذلك بالكتابة، لكنه يحتاج إلى بسط مقدمات كثيرة، وذكر أشياء ربما يؤدي إلى ذكر ما لا ينبغي، سيما في السفر، وأثناء المنازل، مع كمال اختلال البال، واغتشاش الأحوال، ولو نظرت في الأخبار، وتأملت في الآثار المروية عن الأئمة الأطهار «عليهم سلام الله الملك المختار، في آناء الليل وأطراف النهار»، رأيت أنهم عليهم السلام ما عظموا أمر مسألة من المسائل، في دقتها وخفائها وغموضها، مثل ما عظموا أمر هذه المسألة، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**ألا إن القدر سر من سر الله، وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله العباد عن علمه، رفعه الله فوق شهاداتهم، ومبلغ عقولهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية، ولا بقدرة الصمدانية، ولا بعظمة النورانية، ولا بعزة الفردانية، لأنه بحر زاخر خالص لله تعالى، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، يعلو مرة ويسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطلع عليها إلّا الله الواحد الفرد، فمن تطلع عليها فقد ضاد الله عز وجل في حكمه، ونازعه**

→...

الأمرين . الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٢٣٦، ح٤، باب : ٣٩ . تفسير نـــور الثقليـــن، ج٥، ص٣٤٥، ح٢٣ .

في سلطانه، وكشف عن ستره وسره، و﴿بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١]، انظر كيف صرّح بالأمر .

وقوله : (**لا يعلمها إلّا الله**)؛ ليس المراد أنه لا يمكن لأحد الوصول إليها، إلّا بتعليم خاص، وعناية خاصة، زائدة عما عليه هي عامة للخلق، لا تنال إلّا بالإخلاص في طاعته، والإقبال الكلي عليه، كما قال عز ذكره: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾[٢]، وقال : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٣] .

فإذا قلت : إن الماهية ليست بمجعولة؟، وإنما هي أعيان ثابتة في الأزل، اقتضت ذاتياتها من النور والظلمة، والخير والشر، والسعادة والشقاوة لا بعلل، وإن الله لم يجعل المشمش مشمشاً، بل جعله موجوداً، وإن الشرور أعدام لا وجود لها، وأن الإمكان لا وجود له، ولا تعلق به جعل، وأمثالها من الأمور الواهية، ما وحدت الله في أفعاله، وما صدقته في أقواله، بل أنسب الذوات والصفات والقابليات، كلها إلى فعله تعالى، وإيجاده بسر الأمر بين الأمرين، كما أشرت إلى نوع الأمر فيه، فافهم وانظر إلى الشمس واشراقاها، والرجل وكلماته وألفاظه وسائر آثاره، من

---

(١) التوحيد، ص٣٨٣، ح٣٢، باب : القضاء والقدر . مختصر بصائر الدرجات، ص٣٥٧، ح٢٠، باب : أحاديث القضاء والقدر . بحار الأنوار، ج٥، ص٩٧، ح٢٣، باب : ٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٨٢ .

(٣) سورة القصص، الآية : ١٤ .

الآثار القلبية، والصدرية والجسدية، ترى الأمر واضحاً ظاهراً مشروحاً، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[١] .

[توحيد العبادة]

الرابعة : توحيد العبادة، كما قال ﷻ : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٢]، وهذا التوحيد بأن لا ترى لشيء تذوتاً وتحققاً واستقلالاً سواه تعالى، فلا تخاف من أحد، ولا ترجو أحداً، ولا تعدل بالله أحداً، فإنك إذا توجهت إلى شيء فهو معبودك كما في الحديث، **(كلّ ما يشغلك عن الله فهو صنمك)** .

وقال الصادق عليه السلام : **(من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان)**[٣] .

وجامع الأمر في هذا المقام، هو أن المعبود يجب أن يكون هو المستقل الثابت الدائم، الذي كل شيء يستقهر ويضمحل دون جلال عظمته، وكبريائه وبهائه، إذ لو كان أحد أعظم منه، تأبى النفس عن التوجه إلى الأدنى الأسفل، مع وجود الأعلى الأفضل، ولا ريب أن الشيء

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

(٣) فروع الكافي، ج٦، ص٤٣٤، ح٢٤، باب : الغناء . الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٥٢٦، ح٥، باب : ١٤ . وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٢٧، ح٩، باب : ١٠ .

حين توجهه والتفاته إلى الأعلى، لا يلتفت إلى الأسفل، وإلّا ليس بعاقل، بل ولا ذي شعور، بل لا يمكن ذلك، فإذا اعتقد في حق شيء أنه الأعلى مع حضوره عنده، يستحيل أن يتوجه إلى الأسفل، فإذا رأيت الرجل يتوجه إلى الأسفل مع وجود الأعلى، فحينئذٍ قد جعل الأسفل أعلى حتى مع ظهوره ظهور الأعلى، وجعل الأعلى أسفل حتى رجح الالتفات إليه على الالتفات إلى الأعلى، وهذا يكون في نظره واعتقاده أو عمله، وإلّا فلا يكون الأعلى أسفل، ولا الأسفل أعلى في الواقع، فإذا نظر إلى الأسفل جعله مقصوداً ومعبوداً، إذ لو كان عنده من هو أعلى منه، لما ساغ النظر إلى هذا الأسفل، بل لَمَنَعَ ظهور الأعلى من مشاهدة ذلك الأسفل، فإن كان نظره دائماً إلى الأسفل، فهذا كافر، وإن كان مرة إلى الأعلى ومرة إلى الأسفل، فهو مشرك .

فالفقر الذي هو سواد الوجه في الدارين، هو من الأول، وكاد الفقر أن يكون كفراً من الثاني، فالعصاة كلهم مشركون في هذا التوحيد؛ لأن العاصي تابع لهواه، ومخالف لأمر مولاه، وهو قوله تعالى : ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾[1]؛ لأنه جعل هواه معادلاً معه تعالى، بل ربما أرجح حتى اختار آثر إرادته على إرادة الله -نعوذ بالله، ونستغفر الله- .

وهذه المعصية لها مراتب بحسب الرقة والغلظة، والكبر والصغر، حتى يؤول إلى ما قال ﷺ : (**وإن الشرك في هذه الأمة له دبيب أخفى من**

(١) سورة الجاثية، الآية : ٢٣ .

دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء)[١] .

[توحيد العوام]

ومراتب هذا التوحيد، وهذا الشرك كثيرة لا نهاية لها، ولو أردنا شرح أكثر كلياتها ما وسعنا المقام، إلَّا أني أبين لك ما يجمعها كلها، بجميع مراتبها، في ثلاث مراتب؛ **المرتبة الأولى** : توحيد العوام؛ وهو التوجه إلى المعبود الحق -تبارك وتعالى- بفعل الأمر الوجوبي، وترك النهي التحريمي في كل الأفعال والأقوال، والحركات والسكنات، كما قال عليه السلام في معنى الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، **(إن الذكر ليس هو قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، بل الذكر أن تذكر الله حال الطاعة فتفعلها، وحال المعصية فتتركها)**، ولذا يخرج الشخص حال المعصية عن الإيمان، كما قال عليه السلام : **(لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن)**[٢] .

ويدخل في حد الشرك من شرك العبادة، على المعنى الخاص لا على المعنى العام، كما جعلوا الأصنام الظاهرية والباطنية شركاء الله، وأوجبوا العبادة لها معه تعالى .

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(الشرك في أمتي أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء)** . [عوالي اللآلي، ج٢، ص٧٤، ح١٩٧] .

(٢) قرب الإسناد، ص٣٤، ح١١٠ . أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٤، ح٢١، باب : الكبائر . بحار الأنوار، ج٦٦، ص٦٣، ح٧، باب : ٣٠ . وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣٢٥، ح١٨، باب : ٤٦ .

[توحيد الخواص]

المرتبة الثانية : توحيد الخـــواص؛ وهو التوجه إلـــى المعبود الحـــق -سبحانه وتعالى- بفعل الأمر التكميلي، وترك النهي التنـــزيهي، وهؤلاء أولوا الألباب، الذين عرفوا الماء من السراب .

والمراد بالأمر التكميلي المستحبات، والنهي التنـــزيهي المكروهات، فإن العبد ليس طاعته وعبادته لله ﷻ، لأجل طمع في الجنة، ولا خـــوف من النار، وإنما هي طلباً لرضاه، وحذراً عما ينافي محبته ورضاه .

ولا شك أن المستحبات فيها رضاه تعالى، والمكروهات ليس فيهـــا رضاه تعالى، فإذا تركها وفعلها مع أمر الله ﷻ، ورفع الموانع، فقد آثـــر شهوة نفسه وأنّيته الملعونة على رضاه تعالى، ومحبته ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَـــذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَـــى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ**﴾[1]، اللهم اهدنا بهدايتك، وافتح مسامع قلوبنا بنورك، يا نور النور، ويا مدبر الأمور .

[توحيد أخص الخواص]

المرتبة الثالثة : توحيد أخص الخواص؛ وهم الخصيصون، وهم أولوا الحقيقة والأقطاب، وهو التوجه إلى المعبود الحق -سبحانه وتعالى- بكـــل ما ذُكِرَ في المرتبتين المتقدمتين، وبترك المباحات التي لم يرد فيها أمـــر، ولا نهي، وورد أنها مباحة لكم، كما قال عليه السلام : (**كل شيء لكم مطلـــق حتى يرد فيه أمر أو نهي**)، وهو قوله عليه السلام في حق هـــؤلاء الأبـــرار :

---

(١) سورة الجاثية، الآية : ٢٣ .

(يدعون ما لا بأس به حذراً عن الوقوع فيما فيه بأس)[1]، بل بترك الأمور التي فيها محبة للهوى والنفس، لأنهم قطعوا اعتبار أنفسهم، ومشاهدة هويتهم، وملاحظة إنّيّتهم، واندكّت شهواتهم، وبطلت واضمحلّت إراداتهم في إرادته سبحانه، ومشيئتهم في مشيئته تعالى، فمنهم من لا إرادة لهم؛ وهم الأعلون، ومنهم من إرادتهم تابعة لإرادته تعالى؛ وهم المعنيّون من قوله ﷻ : **﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ﴾**[2] .

وبحفظ السر عن النظر إلى السّوي، ومشاهدة غير الله، فقد امتثلوا أمره تعالى، **﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾**[3]، فلا يخطر ببالهم، ولا في خاطرهم، شيء سوى نور عظمته تعالى، وبهاء قدرته، فاستظلوا بظل التوحيد، وآووا إلى الكهف بالتفريد والتنزيه، ولهم قال ﷻ في التأويل : **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾**[4] .

والشرك في هذه المرتبة مقابلات ما ذكرنا، وما نال هذه الدرجة من التوحيد على الحقيقة والواقع، بأكمل الوجوه وأعلاها، وأشرف الدرجات

---

(١) قال رسول الله ﷺ : **(لا يبلغ عبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما فيه البأس)** . [تحف العقول، ص٦٠ . بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٦٤، ح١٩٢] .

(٢) سورة الإنسان، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة الحجر، الآية : ٦٥ .

(٤) سورة الكهف، الآية : ١٦ .

وأقصاها؛ إلَّا محمد وأهل بيته الأربعة عشر المعصومون، قصبة اللاهوت والياقوت، وحجاب اللاهوت، وسلاطين الملك والملكوت «صلى الله عليهم أجمعين» .

والصراط موضوع على مقتضى هذا التوحيد، وهو قوله عليه السلام : **(إن على الصراط عقبات كؤد، لا يقطعها بسهولة إلَّا محمد وأهل بيته الطاهرين)**، ثم بعدهم عليهم السلام نالوا هذه الدرجة من التوحيد الأنبياء المرسلون المعصومون عليهم السلام، على تفاوت درجاتهم، فلذا اختلفوا بأولي العزم[1] وغيرهم، وكان يصدر منهم بعض الهفوات من ترك الأولى، ثم

---

(١) قال مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام : **(إنما سمي أولوا العزم أولي العزم؟؛ لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه، وتابعاً لكتابه إلى زمان إبراهيم الخليل عليه السلام، وكل نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه، وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى عليه السلام، وكل نبي كان في زمن موسى عليه السلام وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه، وتابعاً لكتابه؛ أي : أيام عيسى عليه السلام، وكل نبي كان في أيام عيسى عليه السلام وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته، وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله .**
فهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم، وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وشريعة محمد صلى الله عليه وآله لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة، فمن ادعى بعد نبينا أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه) . [علل الشرائع، ج١، ص١٤٩، ح٢، باب : ١٠١ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٨٦، ح١٣، باب : ٣٢] .

بعدهم أخص الخواص من الشيعة المخلصين؛ وهم القائلون على الحقيقة : **(وأن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى، باطل مضمحل ما خلا وجهك الكريم)**[1] فلا يلتفتون طمعاً وخوفاً، ورغبة ورهبة، إلّا إليه وحده لا شريك له، وهم الذين يعمرون مساجد الله، والمساجد هم الأئمة عليهم السلام، وتعميرهم إحياء أمرهم، وذكرهم وإرشاد هدايتهم ودلائلهم، وقد قال عز وجل : **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُوْنُوْا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ﴾**[2] .

وشرح أحوال هؤلاء طويل، وهذه الإشارة كافية لأولي الدراية، وهذه مجمل مراتب التوحيد، والعبادة والموحدين لله تعالى فيها، انظر في نفسك هل أنت منهم أم لا؟، فإذا كنت منهم، فانظر في أي درجة منها؟، فكن طالباً في الناس أعلى المراتب .

واعلم أن أهل الدرجة الأولى، قد خلصوا من الشرك الخفي الجلي، والثانية من الشرك الخفي، والثالثة من الشرك مطلقاً؛ من الجلي والخفي والأخفى.

والممادح القرآنية ومذامها، كلها تجري على أهل هذه المراتب، على تفاوت درجاتها، وتعدد مقاماتها، وهذه المقامات التي ذكرناها، كلها

(١) مصباح المتهجد، ص٢٢٠ . مفتاح الفلاح، ص٦١ . بحار الأنوار، ج٨٣، ص١٦٥، ح٤٤ .

(٢) سورة التوبة، الآية : ١٨ .

مراتب أهل الحق، الذين ظاهر دعواهم التمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها، وليس هؤلاء ممن قال ﷻ : ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾[١]، وإن كان باب التأويل واسع، وحكم التنزيل جامع .

وأما مقامات أهل الباطل من المنكرين للأوصياء «عليهم الصلاة والسلام»، أو الوصي المطلق أمير المؤمنين عليه السلام، أو إنكار منكر حق بعد ثبوته، ووضوحه لديه، أو منكر الأنبياء عليهم السلام، أو منكر البعث والنشور، فقد تركنا ذكرها للوضوح والظهور، وإنما الإشكال في الشرك الموجود عند هؤلاء، فقد أشرت إليه لتنبيه الغافلين، وتيقيظ الجاهل، وتذكرة للنفس الميالة إلى الباطل، ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾[٢] .

واعلم أن من أعظم الشرك في العبادة، ما يأمر الصوفية[٣] مريدهم، بأن يمثلوا صورة المرشد في خيالهم، ويقصروا نظرهم عليها، ولا يلتفتوا إلى

---

(١) سورة النساء، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٤ .

(٣) **الصوفية** لها استعمالان : «**الأول** : أن المقصود من الصوفية هو كل من إلتزم بتطبيق أوامر الله تعالى، ... وابتعد عن نواهيه تعالى، من تجاف عن الدنيا والزهد فيها، وتصفية النفس ومحاسبتها، والإخلاص له تعالى، ولا شك أن هذا المعنى ليس بمذموم، بل مما حث عليه الشارع المقدس، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : (**إن خياركم أولو النهي .**

قيل : يا رسول الله ومن أولو النهي؟ .

قال : هم أواو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة

←...

غيرها، ولا ينظروا إلى سواها، ليجعل ذلك كل الهموم هماً واحداً، ويقربهم إلى عالم الوحدة، ثم بعد ذلك يصرفون نظرهم عن تلك الصورة، ويتوجهون إلى الله ﷻ، فإن تلك الصورة التي يقصرون نظرهم عليها، هل هي دليلهم إلى الله ﷻ؛ يعني يتوجهون إلى الله تعالى بتلك الصورة المحدودة، فإن ذلك كفر، فإن وجه الله لا كيف له، ولا حد، وإلّا كان لله حد وكيف -تعالى عن ذلك علواً كبيراً- .

...←

بالأمهات والآباء، والمتعاهدين للفقراء والجيران والأيتام، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلون والناس نيام غافلون) . [أصول الكافي، ج٢، ص٢٤٠، ح٣٢، باب : المؤمن وعلاماته وصفاته] .

الثاني : أن المقصود هو من يعتقد بالاتحاد ووحدة الوجود، وغير ذلك، ولا شك أن أصحاب هذا المعنى مخالفون لله تعالى ورسوله ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام، مذمومون ملعونون على لسانهم عليهم السلام .

عن البيزنطي أنه قال : قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: قد ظهر في هذا الزمان قم يقال لهم الصوفية، فما تقول فيهم؟ .

قال عليه السلام : **(إنهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم، ويحشر معهم، وسيكون أقوام يدعون حبنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهم، ويلقبون أنفسهم بلقبهم، ويؤولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منا، وأنا منه براء، ومن أنكرهم ورد عليهم، كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله ﷺ)** . [سفينة البحار، ج٢، ص٥٧، ح٢]» [نقلاً عن مفاتيح الأنوار، ج١، ص٦٦، باختصار بسيط] .

وقد قال في الدعاء: (**وبمقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها، إلّا أنهم عبادك وخلقك**، ...)[١]، فإذا كان هذا حال الوجه، وآية المعرفة، فكيف تكون تلك الصورة وجهاً، فإذا لم تكن وجهاً كانت شاغلة، فكانت صنمك، لقوله عليه السلام: (**كل شيء يشغلك عن الله فهو صنمك**)، وهي وإن كانت تجعل الهموم هماً واحداً، إلّا أن ذلك أغلظ الحجب وأكثفها، قد يحصل للشخص أن يقطع عن تلك الهموم؛ لعدم ثباتها بدليل اختلافها، ولا يمكنه قطع تلك الصورة لثباتها ورسوخها، فكان الرجل في مدة عمره يعبد الوثن، وهو يريد التوجه إلى الله بواسطته، كما قالوا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[٢]، ولقد كذبهم الله في دعواهم، وأبان عن غيهم وافترائهم، بقول الحق: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيْقَاً يَلْوُوْنَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوْهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ۞ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُوْلَ لِلنَّاسِ كُوْنُوْا عِبَادَاً لِيْ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلَكِنْ كُوْنُوْا رَبَّانِيِّيْنَ**﴾ -إلى أن قال تعالى: ﴿**أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ**﴾[٣].

---

(١) إقبال الأعمال الحسنة، ص١٤٥، في أدعية أيام شهر رجب. البلد الأمين، ص٢٥٤، في دعاء كل يوم من أيام رجب. مصباح المتهجد، ص٥٥٦، في دعاء كل يوم من أيام رجب.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٧٨-٧٩-٨٠.

انظر إلى هذه الكلمات، كيف صرح بكفر هؤلاء في اتخاذهم تلك الصورة معبوداً من دون الله، وقد بين الإمام الصادق عليه السلام كفرهم، بعد تسليم أقصى ما عندهم من الحجة، من أنها الطريق والسبيل إلى الله تعالى، قال عليه السلام : (**من عبد الاسم دون المسمى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد المسمى والاسم معاً فقد أشرك، ومن عبد المسمى دون الاسم فذاك التوحيد**، ...)[1]؛ يعني هب أن تلك الصورة سبيل لا تكون أقرب من الاسم فتكون اسماً، إذ هو المتمحض في الدلالة، وحالة الاسم كما ذكر عليه السلام، وقد شرحنا هذا الحديث في أجوبة مسائل أتتنا من جبل عامل[2] .

وبالجملة؛ فالكلام في ذكر مخازي هذه الطائفة الملعونة كثيرة، والإعراض عنه أولى، والإشارة كافية لمن طلب الهداية .

---

(١) عن هشام بن الحكم، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها : الله مما هو مشتق؟ .

قال : فقال لي : (**يا هشام الله مشتق من إله والإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد**،...) . [أصول الكافي، ج١، ص١٠٩، ح٢، باب : المعبود . التوحيد، ص٢٢٠، ح١٢، باب : أسماء الله تعالى . وسائل الشيعة، ج٢٨، ص٣٥٣، ح٤٥، باب : ١٠ جملة مما يثبت به الكفر والارتداد . الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج١، ص١٦٤، ح٣، باب : ١٥] .

(٢) مجموعة الرسائل، ج١، ص٥١ .

[صفة التوحيد بحسب الموحِّد]

وهذه المراتب الأربع؛ هي مراتب التوحيد المشهورة، والقسم الآخر؛ أي : مراتبه بحسب توحيد الموحِد -بكسر الحاء- وإن كانت لا حدّ لها، لأن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، إلّا أن كلياتها تجمعها مرتبتان؛ **الأولى** : التوحيد الذاتي .

الثانية : التوحيد الصفاتي .

[التوحيد الذاتي]

والمراد **بالأولى** : توحيده تعالى على ما هو عليه، في عز جلاله، وقدسه وذاته، وهذا هو قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ**﴾[1]، وهذا التوحيد مختص بذاته المقدسة -سبحانه وتعالى- لا يشاركه فيه أحد ولا يصل إليه مخلوق، وكل الخلق عاجزون عن الوصول إليه، بل معدومون وممتنعون عند ظهور جلال تلك العظمة، وإلى تلك الرتبة يشير ما قال سيدنا ونبينا صلى الله عليه وآله : (**ما عرفناك حق معرفتك**)[2]، فإذا عجز عن نيلها أشرف الخلق، فسائر الخلق عن نيلها وإدراكها أعجز، فلا يصل إليها أحد سواء أبقى الحدود والتعين أو نزعها، فإن بنزع الحدود يلوح الرسم والاسم، لا الحقيقة والعين، وما قالوا في هذا المقام من الأمور المبينة على مذهب القائلين بوحدة الوجود، فساقط عن درجة الاعتبار، ولا

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٨ .

(٢) عوالي اللآلي، ج٤، ص١٣٢، ح٢٢٧ . بحار الأنوار، ج٦٨، ص٢٢، ح١، باب : ٦١ .

يلتفت إليها أهل الاعتبار، من الأخيار الأبرار، ﴿**فذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾[١] .

[التوحيد الصفاتي]

والمراد بالتوحيد الصفاتي؛ هو ما وصف الله تعالى نفسه لعباده، وتوجه الخالق تعالى بذلك الوجه، الذي كل شيء هالك سواه، وهو النقش الفهوائي، والخطاب الشفاهي، وهو قوله تعالى لعباده : ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾[٢]، كما قال لموسى عليه السلام ولكل شيء، فكل الخلق صدى ذلك الصوت، وتوجههم إلى ذلك الرسم، ونداءهم بذلك الاسم .

ولما كان الخلق في نزولهم حصلت لهم مقامات سفلية وعلوية، ظهر سر ذلك التوحيد الأسمى الرسمي الوصفي، في كل مقام على حسب ذلك المقام، ولما كان كليات مقاماتهم تنحصر بظهور القبضات التي هي العشر، خلق منها كونه ووجوده، مشروح العلل، مبين الأسباب، كانت مراتب ظهورات التوحيد أيضاً تختلف بعشر مراتب، عند وقوف العبد في كل مقام ومرتبة، **الأولى** : ظهور التوحيد في مقام القلب، وهو المعبر عنه بأنا، وفي هذا المقام تجلى له نور الكبرياء والعظمة، تحت حجاب القدس، وهو مقام (**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر**

---

(١) سورة الزخرف، الآية : ٨٣ .

(٢) سورة طه، الآية : ١٤ .

لك)[١]، ومقام (**تعرفت إليَّ في كل شيء، فرأيتك ظاهراً في كل شيء**)[٢]، ومقام : (**وأن كل معبود مما دون عرشك، إلى قرار أرضك السابعة السفلى، باطل مضمحل ما عدا وجهك الكريم**)[٣]، وهو في هذا المقام يسبح مع حملة العرش، في مقام هو معهم فوق العرش، وفي مقام هو معهم في العرش، وفي الثالث هو معهم تحت العرش، ولكل رأيت منهم مقاماً شرحه في الكتاب مما يطول .

الثانية : ظهور التوحيد في مقام الصدر، وهو مقام النفس، وفي هذا المقام تجلى له نور العظمة، تحت حجاب القدرة، وهو حينئذٍ يسبح مع الملائكة الواقفين في الكرسي .

فأصحاب النفس الكاملة والمرضية، هم الواقفون فوق الكرسي في مقام (**ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله**)[٤] .

وأصحاب النفس الراضية؛ هم الواقفون في الكرسي في مقام (**ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله معه**) .

وأصحاب النفس المطمئنة؛ هم الواقفون تحت الكرسي في مقام (**ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله بعده**) .

---

(١) إقبال الأعمال الحسنة، ص٦٥١، دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة . وفي بحار الأنوار، ج٩٥، ص٢١٦، باب : ٢ أعمال خصوص عرفة وليلتها وأدعيتها، بدل «لا تزال، لا تراك» .

(٢) بحار الأنوار، ج٦٤، ص١٤٢، ح٧، باب : ٤ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٠) من هذا الكتاب .

(٤) شرح أصول الكافي، ج٣، ٨٣ .

الثالثة : ظهوره في مقام العقل، وفي هذا المقام تجلى له نور العظمة، تحت حجاب العزة، وهو حينئذٍ يسبح مع الملائكة الواقفين في فلك العقل؛ أي : "أفرودوس"، فأصحاب العقل المرتفع، فوق افرودوس في مقام (**لا يرى فيه نور إلَّا نورك، ولا يسمع فيها صوت إلَّا صوتك**)[١] .

وأصحاب العقل المستوي فيه في مقام (**من عرف نفسه بالعجز، عرف ربه بالقدرة، ومن عرف نفسه بالفقر، عرف ربه بالغنى، ومن عرف نفسه بالغنى، عرف ربه بالبقاء**)، وهكذا .

وأصحاب العقل المنخفض، تحت "أفرودوس" في مقام إثبات التوحيد.

ومعرفة الصفات بدليل الموعظة الحسنة[٢]، الواقفون مقام اليقين؛ أي: عين اليقين في مقام المستوي، وطرفيه في طرفيه كما سبق .

الرابعة : ظهور التوحيد في مقام العلم، وفي هذا المقام تجلى له نور العظمة تحت حجاب العظمة، وهو حينئذٍ يسبح الله مع الملائكة الواقفين في السماء السادسة .

فأصحاب علوم لب اللب، وهم أصحاب البر في مقام القشر، وهو الظاهر الجلد فوقها، في مقام إثبات التوحيد بالبرهان المركب، عن المقدمات اليقينية، التي تنتهي إلى البديهيات؛ بحيث لا يختلف صاحبها، ولا

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٧) من هذا الكتاب .

(٢) **دليل الموعظة الحسنة هو** : «آلة لعلم الطريقة، وتهذيب الأخلاق، وعلم اليقين والتقوى»، ومستنده : «القلب والنقل»، وشرطه : «إنصاف عقلك» . [شرح الفوائد، ص١٢، «حجري»] .

يزول عما هو عليه بوجه أبداً، وهو كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف .

وأصحاب علوم اللب، في مقام القشر فيها، في مقام البرهان القطع، لكن يزول عنه صاحبه أحياناً .

وأصحاب علوم القشر في مقام القشر، وهم أصحاب العرش تحتها، في مقام البرهان القطعي، لكن يزول عنه صاحبه دائماً، وهو كرائي الشبح عن بعيد .

الخامسة : ظهور التوحيد في مقام الهمة، وفي هذا المقام تجلى له الجبار تحت حجاب القهر والغلبة، وهو حينئذٍ يسبح الله سبحانه مع الملائكة الواقفين في السماء الخامسة .

فأصحاب الهمة العليا فوقها، يستمدون من نور العقل المرتفع، من فاضل ما ظهر له، من تجلي الأسماء عند ظهور التوحيد حرفاً بحرف، إلَّا أن له الأصل، ولهؤلاء الفرع .

وأصحاب الهمة الوسطى في السماء، يستمدون من نور العقل المستوي .

وأصحاب الهمة الأدنى، يستمدون من نور العقل المنخفض، كما سبق على ما سبق .

السادسة : ظهور التوحيد في عالم الوجود، ومقام الشهود، وأول ظهور اسم المعبود، وفي هذا المقام تجلى له نور العظمة، تحت حجاب الجمال، وهو حينئذٍ يسبح مع الملائكة الطائفين حول البيت المعمور .

فأصحاب الوجود الشريف اللطيف، يستمدون من نوره، وفي العرش في البيت المعمور .

وأصحاب الأكثف الأسفل، يستمدون من نوره في أسفل البيت المعمور، وظهور التوحيد لهؤلاء كمالاً لأولئك، إلَّا أن لهم الأصل، ولهؤلاء الفرع، على ما قلنا .

السابعة : ظهور التوحيد في عالم الخيال، ورتبة المثال، ومقام الوصال والاتصال، وفي هذا المقام تجلى له نور العظمة، تحت حجاب الجلال، وهو يسبح الله مع الملائكة الواقفين في السماء الثالثة .

فأصحاب المثال الأعلى فوقها، يستمدون من نور علم لبّ اللب، في كلما له وبه ومنه، وعليه وإليه فوقها، وعلى هذا القياس سائر المراتب والمقامات، كما تقدم مجملاً .

الثامنة : ظهور التوحيد في مقام الفكرة، وفي هذا المقام تجلى له نور العظمة، تحت حجاب الفخر، وهو حينئذٍ يسبح الله مع الملائكة الواقفين في السماء الثانية .

وأصحاب هذا العالم لهم ميولات، وأهواء ومناسبات، مع كل العوالم المذكورة المتقدمة، بمراتبهم الثلاثة، فمرة تظهر لهم أسرار التوحيد من نور القلب، ومرة من نور الصدر بمراتبهما الثلاثة، ومرة من نور العلم كذلك، ومرة من المختلط من المجموع، فيحصل لهم ظهور آخر، وشرح تلك الأحوال يقتضي بسطاً في المقال، وليس لي الآن ذلك الإقبال، والإشارة كافية للفطن المفضال، والله خليفتي عليك في كل حال .

التاسعة : ظهور التوحيد في عالم الحياة، وفي هذا المقام تجلى له نور

العظمة، تحت حجاب المجد، وهو حينئذٍ يسبح الله مع الملائكة الواقفين في السماء الأولى؛ سماء الدنيا، واستمداد أهل هذا العالم بمراتبهم الثلاثة، من أصحاب الحياة الصرفة، التي هي فوقها في جوهرها، وأصحاب الحياة المشوبة بالممات تحتها، إنما هو من الكرسي بمراتبه الثلاثة، عند ظهور التوحيد له فيها، فيظهر لهؤلاء منها على التفصيل، والفرق في الأصالة والتبعة .

العاشرة : ظهور التوحيد في عالم الجسد، وفي هذا المقام تجلى له نور العظمة، تحت حجاب الكبرياء، وهو حينئذٍ يسبح الله مع الملائكة الواقفين في عالم الملك .

فأصحاب الجسد الأخروي فوق هذا العالم في مقام (**إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار، فارجعني إليها بكسوة الأنوار، وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها**)[1] .

وأصحاب الجسد البرزخي في ذلك العالم، في مقام عليكم بدين العجايز[2] .

وأصحاب الجسد الدنيوي في مقام (**قولوا : لا إله إلّا الله تفلحوا**)[3].

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٨) من هذا الكتاب .

(٢) راجع بحار الأنوار، ج٦٦، ص١٣٥ . وكشف الخفاء، ج٢، ص٧١ .

(٣) حلية الأبرار، ج٢، ص١٢٠، ح١٣، باب : ١٢ في أذى المشركين له . مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٥١ . بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٠٢ .

وهذه المراتب عشر مراتب، يظهر التوحيد في كل مقام، غير ما يظهر في المقام الآخر، والكل يوحدونه -تبارك وتعالى- في الذات والصفات، والأفعال والعبادة، وهنا مرتبة أخرى في التوحيد؛ وهي أصلها ومنشؤها ومبدؤها، وهي منها تحققت وتأصلت، وإليها تعود بالكمال، وذلك ظهور التوحيد في مقام الفؤاد، وأول المداد، ووجه الاستمداد، وأصل الاستعداد، وذلك أحد عشر مقاماً، بعدد قوى «هو»، وهي ميادين التوحيد .

وفي مقام الفؤاد، مقامات عديدة، ومراتب كثيرة، وللكلام فيها مجال، أقلها كغيرها ثلاثة، وإلّا فهي تزيد على العشرة، فمجموع هذه المراتب ثلاثة وثلاثين، وهي مقامات التوحيد .

وفي كل مرتبة أربع مراتب من التوحيد؛ كتوحيد الذات والصفات، والأفعال والعبادة، والمجموع مائة واثنان وثلاثون مرتبة، وهذه مراتب التوحيد لكل أحد، ثم في السلسلة الطولية في كل مقام، تتحقق هذه المراتب، وهي ثمانية؛ الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، وحجاب الكروبين، الذي تحته الأنبياء والمرسلون، والأوصياء المرضيون، والصفوة المنتجبون، وأصحاب النفوس الناطقة القدسية، دون الملكوتية الإلهية، والجان الذين خلقوا من مارج من نار، وهم القوى النيرانية الصافية، المنشعبة من مرة الصفراء، في الحضرة الإنسانية، ولهم النفس الناطقة الظلية لا القدسية، وإن كانت فهي من باب الحقيقة بعد الحقيقة، والملائكة إلّا على الجزئية، (**صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها**

فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله)[١]، وهم حملة ظهورات الإختراع، إلى القوابل والاستعدادات، من الظهورات الخاصة، في الأحكام الجزئية الشخصية، وهم في هذا المقام ينقسمون إلى كلي وجزئي، والكلي هم الأربعة، حملة العرش؛ أي : جبرائيل، وميكائيل الحامل للركن الأيسر الأسفل، وعزرائيل الحامل للركن الأيسر الأعلى، وميكائيل الحامل للركن الأسفل الأيمن، وإسرافيل الحامل للركن الأيمن الأعلى من العرش، وغيرهم من أعوانهم، وخدامهم ومواليهم، وهم بين كلي وجزئي، فمن الملائكة من إذا صبت مياه بحور السماوات والأرضين، في نقرة إبهامه وسعتها، ومنهم من بين كتفيه إلى شحمة أذنيه، مسيرة خمسمائة عام، ومنهم من رأسه فوق السماء السابعة، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى، وله جناحان؛ **إحداهما** : ملأت المشرق .

والأخرى : ملأت المغرب .

ومنهم من لو اجتمعوا ألف منهم، ما قدروا على حمل باقة بقل، وفيهم تفاصيل وأحكام كثيرة، لا يسعني الآن ذكرها، والإشارة كافية لأهلها .

وأصحاب النفوس الحساسة الفلكية، فهم بين قوى مجردة أو ظاهرة، في الأجسام البسيطة المجردة عن المواد الجسمية؛ كالأفلاك وقواها، وكواكبها وقراناها وأوضاعها .

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٤٩، فصل : في المسابقة في العلم . الصراط المستقيم، ج٢، ص٢٢٢ . بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٦٥، ح٥٤، باب : ٩٣.

والذوات المتأصلة المتحققة منها، وبين قوى ظـــاهرة في الأجســـام الفلكية، المتنــــزلة في الأجسام، والأجساد العنصرية، وهؤلاء ما ظهـــروا وما وجدوا في هذه الدنيا، إلَّا منكسة الرؤوس؛ لإدبارهم عن مبـــدئهم، ووقوفهم تحت حجاب الكثرة التي تقلهم، ومالت بهم إلى الأرض، وهـــو قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـــكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَـــعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[١]، فافهم الإشارة بأخصر العبارة .

وهؤلاء بين من غلبت عليهم القوى النارية؛ كـــالطيور الناريـــة، كمندر والطاووس والصقار وأمثالها، وبين من غلبـــت علـــيهم القـــوى الهوائية؛ كسائر الطيور، وبين من غلبت عليهم الترابية؛ كالحيوانات البرية، ولهم تفاصيل أخر لا يناسب المقام لذكرها .

وأصحاب النفوس النامية النباتية، القوى الظاهرة من ائتلاف القوى العنصرية، وهؤلاء بين صاعد الجو لقوة الحرارة النارية، وبين واقع علـــى الأرض لقوة اليبوسة، والبرودة الترابية، وبين عال شامخ، وهابط سافل، والمتوسط بينهما، وبين لا يتم لقلة النضـــج البـــالغ، وقـــوة القـــوى في الاعتدال، فما ظهر فيه سر الربوبية المناسبة لمقامه، وبين ما يثمر لتحقـــق النضج بقوة الحرارة الغريزية، حتى حكت مظاهر الإلهية والربوبية، بســـر الولاية، فأظهر كل ما أودع الولي فيه من سر الأسماء الإلهية، والســـمات الغيبية، فاختلفت الثمار لاختلاف الأسماء، وذلك الاختلاف لاخـــتلاف

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٧٦ .

ميولات تلك القوى، إلى صاحب الولاية الكلية، فافهم فإن البيان يعثر اللسان، ولا يجوز كشف الحقيقة لمن ليس له عينان، والجمادات وهم الأموات، ومعدوموا الأسماء والصفات، ﴿**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾(١) .

ولما كان(٢) الموت ضد الحياة، وكل شيء مركب من الضدين، فصار فيهم من الحياة الضعيفة، مقدار ما يمسكهم، ويؤدوا بها تكليفهم .

ولما كان كل موت لا بد له أن يرجع إلى الحياة، ويختتم بها، فلا بد أن يكون لهم بعث إما في هذه الدنيا، وذلك بعلاجات أهل الصناعة الفلسفية، من أنحاء التقطير والتعفين، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا**﴾(٣)، وهذا هو ذلك العلاج، أو بالعلاج الأكبر، الذي يقع في العالم، عند تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، من أنحاء الكسر والصوغ، وقوة الحرارة المذهبة للأعراض، المزيلة للأوساخ، فيرجع كل شيء إلى أصله بكمال الصفاء من الحياة، وهو قوله عز وجل: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(٤) .

---

(١) سورة النحل، الآية : ٢١ .

(٢) في النسخة الحجرية : «كانت» .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٦٠ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية : ٦٤ .

[مراتب السلسة الطولية]

وهذه ثماني مراتب في السلسة الطولية، وفي كل مرتبة خمس مراتب، وهي ميادين التوحيد، من مقامات الكلمة والدلالة، **فالأولى** : مقام الباطن.

والثانية : مقام الباطن من حيث هو باطن في الألف .

والثالثة : مقام الظاهر في الحروف العاليات .

والرابعة : مقام الظاهر من حيث هو ظاهر في الكلمة التامة .

والخامسة : الظهور في الدلالة .

وهذه المقامات الخمسة، لكل من وجد بـ«كن فيكون»، وكلمته «كن» ظهرت بأثرها، ونورها وظلها في الكل، ففي هذه المراتب وهي المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، بالإضافة إلى كل مذروء ومخلوق، فبملاحظة هذه الخمسة في الثمانية يحقق أربعون مقاماً، وهي مراتب التوحيد في السلسلة الطولية .

ولكل من هذه المقامات حسب ملاحظة السلسلة العرضية، مائة واثنان وثلاثون مقاماً، فيكون مجموع المقامات والمراتب في السلسلتين؛ خمسة آلاف ومئتين وثمانين مرتبة .

ولكل مقام أهل يوحدونه ويسبحونه، ويمجدونه ويثنون عليه، بسبعين ألف لغة، ولكل رأيت منهم مقاماً، شرحه في الكتاب مما يطول، هذا جواب ما سئلت عن مراتب التوحيد .

وأما ما يحصل لك به الخضوع، فكما ذكرنا وأشرنا في توحيد العبادة؛ لأنه أقصى ما يقال في هذا المقام .

واعلم أن الموحّد هو الإنسان، والمشرك هو الشيطان، وصورة الإنسان هيئة الاستقامة، وهيئة النور والكرامة، وهي طينة عليين، وصورة الشيطان هيئة الاعوجاج، وهيئة الدواب والبهائم والحشرات، وسائر الحيوانات؛ من السباع الضاريات، وهي صورة النار ومن النار وإليها، لأنها طينته سجين، وورقة شجرة الزقوم التي ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾(١)، وهي ﴿**طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾(٢)، أستجير بالله من النار .

وصورة الإنسان هي هيئة الصلاة؛ لأن الصلاة المعروفة، هي هيئة الولاية، والولاية هي مجمع الخضوع، والخشوع والتذلل، فكانت الصلاة جامعة لجميع مراتب الخضوع والخشوع بحذافيرها .

ولما كانت عمود الدين، (**إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها**)(٣) .

فالنية هي عقد القلب بالرقية والعبودية، وطلب التقرب إلى الله سبحانه في كل غداة وعشية، وهي أول ظهور المراتب الإنسانية .

---

(١) سورة الصافات، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة الدخان، الآيات : ٤٤-٤٥-٤٦ .

(٣) قال أحدهم عليه السلام : (**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَحَّتْ لَهُ الصَّلَاةُ صَحَّ لَهُ مَا سِوَاهَا، وَإِنْ رُدَّتْ رُدَّ مَا سِوَاهَا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكْسَلَ عَنْهَا أَوْ تَتَوَانَى فِيهَا، أَوْ تَتَوَانَى بِحَقِّهَا** ...) . [فقه الإمام الرضا عليه السلام، ص٩٩، باب : ٧ . أمالي الصدوق، ص٤٤١، مجلس ٩٣ . مستدرك الوسائل، ج٣، ص٢٥، ح٤، باب : ٦ . بحار الأنوار، ج١٠، ص٣٩٣، باب : ٢٥] .

والتكبير استشعار كبرياء الله وعظمته، والدخول في حضرة رعايته، ومنع نفسه عن كل ما يخالف محبته، وينافي إرادته، ولذا سمي بتكبيره؛ لأن المصلي يحرم على نفسه بالتكبير فعل جميع المنافيات .

والقيام هو القيام بخدمة الله سبحانه، وإظهار مقتضى عبوديته، فإن العبد ما يقوم بخدمة مولاه، ولا يعدل عنه إلى سواه؛ لأن العبودية هي فعل ما يرضي الله، ولذا وجب الانتصاب، فإنه أقرب إلى الخدمة من القعود، وأنه لا بد أن يقوم ثم يذهب إلى الخدمة، والقائم أسرع فيه من القاعد وهو معلوم .

والقراءة هي لوح الثناء على الله سبحانه، والإقرار بذلة عبوديته، والقيام بخدمته، وإنما وجبت أن تكون قرآناً؛ لبيان أن **﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾**[1]، وإن الثناء على الله لا يكون إلّا بثنائه على نفسه، فإن غيره جاهل به فلا يعلمونه، والثناء عليه .

وكيفية القيام بخدمته إلّا به، كما قال النبي صلى الله عليه وآله : **(أنا لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)**[2]، وقال الصادق عليه السلام : **(إن الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل العباد يعرفون بالله)**[3] .

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٣٢ .

(٢) إقبال الأعمال الحسنة، ج٣، ص٣١٩ . حلية الأبرار، ج١، ص١٣٠ .

(٣) أصول الكافي، ج١، ص١٨٩، ح١، باب : الاضطرار إلى الحجة . التوحيد، ص٢٨٥، ح١، باب: ٤١ . نور البراهين، ج٢، ص١١٢، ح١، باب : ٤١. بحار الأنوار، ج٣، ص٢٧٠، ح٦، باب : ١٠.

وإنما وجبت فاتحة الكتاب في الأوليتين دون غيرهما؛ لكونها على هيئة الصلاة، على ترتيب الأشرف فالأشرف، فقوله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، إلى : ﴿**مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾(١) مقام السجود، و﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾(٢) مقام الركوع .

وباقي السورة مقام القيام، ولأن فيها مبدأ التوحيد في العالم التفصيلي، ومبدأ الوسائط، وظهور الحقيقة المحمدية ﷺ، ومبدأ الأعمال والأفعال، والأحكام الإلهية، في الآية المحكمة، والفريضة العادلة، والسنة القائمة، ومبدأ الحشر والنشر، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وهي الهيئة التي بني عليها هيكل الإنسان، وهي سبع آيات، لأن الإنسان له سبع مراتب؛ وهي العقل والروح، والنفس والطبيعة، والمادة والمثال والجسم .

وإنما تثنى الفاتحة في كل صلاة؛ لإثبات العدد الذي عليه ظهرت هياكل التوحيد، وهو الأربعة عشر قصبة الياقوت، ومظهر الجواد والوهاب، ووجه الله، ويد الله، ذو الملك والملكوت .

وإنما وجبت السورة؛ لأنها تفصيل لذلك المجمل، وتبيين لذلك المفصل .

ونسبة الفاتحة إلى السورة، كنسبة القلب إلى الأعضاء والجوارح، وبها يتم الكينونة الظاهرة، في الحضرة الإنسانية، فافهم .

---

(١) سورة الفاتحة، الآيات : ٢-٣-٤ .

(٢) سورة الفاتحة، الآية : ٥ .

والركوع خضوع وخشوع، وذلة وانكسار، وبيان أن الأشياء كلها باطلة مضمحلة، ما خلا وجهه الكريم، ولذا يميل إلى التراب الذي هو محل الخضوع والخشوع.

ووجب الذكر؛ لأن به يضمحل الغير، وبذكره تبطل الأشياء، وبنسيانه تستقل السوي، وتدعو أني أنا الله، قال تعالى: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾[1].

وإنما كان الذكر التسبيح؛ لأنه مقام تنزيه الله، ومقام القلم الأعلى، والروح القدس، الذي يقول: سبوح قدوس، ربنا ورب الملائكة والروح.

وإنما استحب التكرار ثلاث مرات؛ لإثبات أن ذلك الخضوع إنما حصل باستشعار كلمة لا إله إلَّا الله، في التدوين والتكوين لأهل التمرين والتمكين.

والسجود مقام الفناء، ورتبة موتوا قبل أن تموتوا، والمحو في ظهور علو الحق -سبحانه وتعالى-.

وإنما كان السجود في الأعضاء السبعة؛ للإشارة إلى فناء المراتب السبعة التكوينية، والذهول عن مقامات الأنّيّة، ولأن هذا الفناء والاضمحلال، إنما كان بدلالة السبع الشداد، وأدلاء الرشاد، ولذا يثنى السجود لإتمام الأربعة عشر، توضيحاً للأثر، وتأكيداً للسر، ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[2].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

وثنيت ركعات الصلاة؛ لاستشعار التذلل والخضوع في العــالمين؛ عالــم الدنيا والآخــرة، وزاد رسول الله ﷺ ركعتين؛ لبيان عالــــم الرجعة، وعالــم البرزخ، **فالأول** : إلــى الدنــيا أقرب، **والثــاني** : إلى الآخرة .

وزاد في المغرب ركعة واحدة؛ للإشارة إلى أنهما من عالم واحد، في رتبة واحدة، يتحدان في مقام، ويختلفان في مقام، فجعل الأمرين دلالــة على الحكمين .

وإنما لــم يزد في الفجر؛ لأن قرآن الفجر كان مشهوداً[١]، تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار، فيكتب مرتين، فيكون أربعة .

وإنما كان التشهد؛ لأنه صورة أداء الحساب، وقراءة الكتاب بــين يدي كتاب الله الناطق، حين كونه حاملاً للواء الحمد، وواقفاً على منــبر الوسيلة[٢]، والخلائق قعود جاثية كهيئة المتشهد، وهــو قولــه تعــالى : **﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنــتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٣]، وكتاب الله الناطق في قوله تعالى : **﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾**؛ هــو سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْــلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾** . [سورة الإسراء، الآية : ٧٨] .

(٢) راجع معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٩٥) من هذا الكتاب .

(٣) سورة الجاثية، الآيتان : ٢٨-٢٩ .

وإنما وجب التسليم؛ لأنه مقام الاستسلام والإنقياد، وتفويض الأمر إلى رب العباد، وتمام مقام ظهور المبدأ والمعاد .

وإنما كان الأذان؛ لإعلام أهل عالم الشهادة، عالم الأجسام، وعالم النقش والارتسام، ولذا كان التكبير فيه أربع مراتب، وفيه اجهار الصوت.

والثاني : للرسوخ؛ لكون عالم الشهادة مقام الكثافة، ولابد فيه من إعلاء الصوت الظاهري والباطني، والحقيقي والمجازي، وهذا بعينه من السر في الجهر في الصلاة الليلية والصبح؛ لأن رسول الله ﷺ كان يغلس[1] فيها[2]، لأن الليل إشارة إلى عالم الأجسام، وعالم الشهادة، فافهم الإشارة بصريح العبارة .

وإنما كانت الإقامة؛ لإعلام أهل عالم الغيب، وأن عوالم نفسه من الغيب والشهادة .

وإنما ذكر فيها قد قامت الصلاة؛ لأن بعد عالم الغيب مقام الوصل والوصال، ومناجات الرب الكريم المتعال، وهو قوله عليه السلام : (**الصلاة**

---

(١) **الغلس هو** : «ظلام آخر الليل» . [لسان العرب، مادة : غلس] .

(٢) سأل يحيى بن أكثم القاضي أبا الحسن الأول عليه السلام عن صلاة الفجر، لِمَ يجهر فيها بالقراءة وهي من صلوات النهار؟، وإنما يجهر في صلاة الليل؟ .

فقال : (**لأن النبي ﷺ كان يغلس بها، فقر بها من الليل**) . [من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٠٩، ح٩٢٥ . علل الشرائع، ج٢، ص١٧، ح١، باب : ١٣ . وسائل الشيعة، ج٦، ص٨٤، ح٣، باب : ٢٥] .

معراج المؤمن)، وقوله تعالى في المعراج : **(يا محمد أدن من صاد وتوضأ لصلاة الظهر)**[١] .

وإنما وجبت الطهارة في المقدمات؛ إما إزالة الأخباث الظاهرة، فهي إشارة إلى تطهير الجسد، عن مباشرة أهل الدنيا .

والحدث الأكبر والأصغر، إشارة إلى تطهير القلب عن الخيالات الفاسدة، الشاغلة عن ذكر الله ﷻ .

وستر العورتين عن النظر عن الشهوات الجسدانية والنفسانية .

والقبلة توجهك إلى حرم الله وكبريائه، والالتفات إلى وجهه، **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾**[٢] .

وتحصيل لباس التقوى ذلك خير[٣]، والاجتناب عن لباس العجب والفخر والغرور .

وموقع العبادة ومكانها، ومحلها القلب مع اليقين الخالص لا بدونه، فافهم واصرف ما سمعت إلى ما لم تسمع، وإذا أتقنت النظر، وأمعنت الفكر مع التدبر فيما ذكرنا لك، يحصل لك جميع ما طلبت وزيادة للذين أحسنوا الحسنى .

---

(١) راجع فروع الكافي، ج٣، ص٤٨٥، ح١ . وعلل الشرائع، ج٢، ص٢٩، ح١، باب : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١١٨ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾** . [سورة الأعراف، الآية : ٢٦] .

[مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام]

قال -سلمه الله تعالى- : وأيضاً فقد نستدعي من جنابك أن تبين لنا مراتب الأئمة عليهم السلام، ومقاماتهم وولايتهم، حتى يكون تذكرها سبباً لزيادة الخضوع والخشوع، والتذلل والانقياد لهم، والإخلاص في محبتهم وولايتهم، وزيادة الوجد والبكاء في مصائبهم ورزاياهم «صلى الله عليهم»؟ .

أقول : إن بيان تلك المراتب والمقامات، مما لا يمكن استقصائها لأحد من المخلوقين سواهم «صلى الله عليهم» مما حضر عندهم، وظهر لديهم عليهم السلام، مما جرى من فوارة القدر، والفيض الأقدس بهم إليهم، دون ما يتجدد لهم أبد الأبد، ودائم السرمد، الصحيح لهم، بالاستزادة في العلم في ذكر فضائلهم ومقاماتهم، «روحي فدائهم»، كما قال عز وجل : ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[1]، وقال تعالى : ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ**﴾[2]، ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء**﴾[3] .

والدليل على عدم الاستقصاء قوله تعالى : ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾[4]، والنعمة هي الإمام عليه السلام، وبه أنعم الله على الخلق في جميع ذرات كينوناتهم، كما ورد التصريح بذلك عنهم عليهم السلام، والمخاطب

---

(١) سورة طه، الآية : ١١٤ .

(٢) سورة الإنسان، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

(٤) سورة النحل، الآية : ١٨ .

هو كل المكلفين، مما يصلح أن يقع عليه التكليف من الأولين والآخرين، وكل الخلائق أجمعين، على ما صح عندنا من عموم الخطابات الشفاهية، وإن كل ما برز في الوجود من الغيب والشهود، والذوات والصفات، والأعراض والأعمال، كلها ذات شعور واختيار وتكليف، قد وقع عليهم التكليف من اللطيف الخبير .

وأدلة ما ذكرنا موجودة في القرآن، وأحاديث الأئمة عليهم السلام، والعقل المستنير، وقد ذكرناها في سائر أجوبتنا للمسائل، وسائر المباحثات، ولا يسعني الآن بيانها؛ لأنها خلاف المقصود والمرام، فكل الموجودات يشملهم خطاب، ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ**﴾، فيدخل فيهم الأنبياء والمرسلون، والملائكة المقربون، وكل الخلق أجمعون، فلا يمكنهم إحصاء فضائلهم، وبيان مقاماتهم ومراتبهم عليهم السلام، وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾[1] .

وعن الكاظم عليه السلام [قال] عن الأبحر السبعة أنها : (**عين الكبريت، وعين اليمين، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ما سبذان، وحمة افريقية، وعين ماجروان، ونحن الكلمات التي لا يستقصى فضلنا، ولا يستحصى**)[2] .

(١) سورة لقمان، الآية : ٢٧ .

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٨ . مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٠٤ . بحار الأنوار، ج٤، ص١٥١، ح٣، باب : ٦ . وفي الاختصاص، ص٩٤، مثله بزيادة بعض الكلمات .

وهذه العيون والجمتان؛ كناية وعبارة عن كل الموجودات بمراتبها، من الطيب والخبيث، واللطيف والكثيف، والصافي والممتزج، والمائع والجامد، وسائر الأحوال، وكلما في الأرض القابليات، من الأشجار النابتة بسقي ماء المزن، وحرارة الكلمة التامة الإلهية المعبر عنها، بل يكن لو كانت أقلاماً مستمده من تلك الأبحر، من الإمدادات الواردة عليهم من ذلك البحر الأعظم، الذي لا نهاية لها، ولا غاية تنتهي إليها، وجرت تلك الأقلام على ألواح الكائنات، من حيث انبساطها، وتحملها للتشأن بالشؤون المتكثرة، المختلفة الغير المتناهية .

والكاتب : هو كاتب الإبتداع بسر الاختراع، في حقائق تلك النسمات، وكينونات تلك الذرات .

ومدة الكتابة إلى أن ينتهي الزمان، وينفد الدهر، ويسير في بيداء السرمد أبد الأبد بلا أمد، لا أحصي جزء من مائة ألف جزء من مثقال الذر، مما لهم عليهم السلام من الفضائل والمناقب والأسرار، كفاك لذلك شاهداً ودليلاً قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : (**يا علي ما عرفني إلّا الله وأنت، ولا يعرفك إلّا الله وأنا**)[1] .

وعن الصادق عليه السلام : (**والله ما وصل إليكم من فضلنا إلّا ألف**

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**يا عليّ! لا يعرفك إلّا الله وأنا، ولا يعرفني إلّا الله وأنت، ولا يعرف الله إلّا أنا وأنت**) . [مختصر بصائر الدرجات، ص٣٣٥، ح٩، باب : أن حديثهم صعب مستصعب . تأويل الآيات الظاهرة، ص١٣٩، ح١٨، سورة النساء، آية : ٦٩ . كتاب المحتضر، ص٣٨] .

غير معطوفة، فإذا كان كان)[1]، فاستحال معرفتهم، ومعرفة فضائلهم، وأسرار ولايتهم إلّا الله سبحانه، ولهم فيما حضر لديهم، دون ما يتجدد من قعر بحر القدر بأمر مستقر، إلّا أن الله سبحانه لما أبى أن يجري على الفلق الفيض، من مخزن الرحمة الواسعة، والرحمة المكتوبة، في علو درجاتهم، وتسافل دركاتهم، إلّا بما عندهم من الإقرار بفضائل محمد «صلى الله عليهم أجمعين»، بالدليل والبرهان، والإنكار لها بعد الحجة عليهم والبيان، وتعالي الدرجات وتفاوتها في العلو والرفعة، إنما كان بزيادة بهم عليهم السلام، المقتضية لزيادة معرفتهم، وتسافل الدركات وتفاوتها في السفل، إنما هو بالتقصير في واجب حقوقهم عليهم السلام، وحرمان درك معرفتهم، كما ينبغي لجلال قدسهم عليهم السلام، فكتب الله سبحانه في حقائق الخلق وذواتهم، وأسرار كينوناتهم شرح فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله، مما تتحمل تلك الحقائق من أطوار الرقائق، فعرفهم إياها وأكرمهم بها، وجعل ذواتهم تلك المعرفة، وحقائقهم تلك المنقبة، فأقامهم في العالم الأول في القدم، والأزل الثاني في محشر واحد، وشرح الله لهم تلك الفضائل؛ بحيث لا

---

(١) عن كامل التمار، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم، فقال لي : **(يا كامل إجعلوا لنا رباً نؤب إليه وقولوا فينا ما شئتم .**

قال : فقلت نجعل لكم رباً تؤبون إليه، ونقول فيكم ما شئنا؟ .

قال : فاستوى جالساً، فقال : ما عسى أن تقولوا والله ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفة) . [مختصر بصائر الدرجات، ص١٨٧، ح٨، باب : في فضل الأئمة عليهم السلام] .

يخفى على أحد فضلهم، وبعض خفايا أسرارهم، وهو قوله عليه السلام في الزياة الجامعة الكبيرة : (**فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمينَ، وَأَعْلى مَنازِلِ الْمُقَرَّبينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلينَ، حَيْثُ لا يَلْحَقُهُ لاحِقٌ، وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ، وَلا يَسْبِقُهُ سابِقٌ، وَلا يَطْمَعُ في إِدْراكِه طامِعٌ، حَتّى لا يَبْقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤْمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيْطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلْقٌ فيما بَيْنَ ذلكَ شَهيدٌ إِلّا عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأنِكُمْ وَتَمامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقاعِدِكُمْ، وَثَباتَ مَقامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَخاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ، بِأَبي أَنْتُمْ وَأُمّي، وَأَهْلي وَمالي...**)[١] .

وهذا التعريف بسر التحقيق، إنما كان في ذلك العالم، وجرى القلم على اللوح المحفوظ، ولوح المحو والإثبات، بإثبات التقدير والقضاء، والأجل والأذن والكتاب، في المحتومات والمشروطات، من الخيرات والشرور، وأحكام المحو والإثبات، والبقاء والفناء، والرزق والحرمان، وكلما نطق به أن الإمكان والأكوان، وسائر الأحوال والأوضاع، والاقتضاءات كلها على مقتضى ذلك التعريف، فهنالك ظهرت هيمنة آل محمد «صلى الله عليهم»، واستيلائهم على كل مذروء ومبروء، وهو قوله عليه السلام في الزيارة : (**طَأْطَأَ كُلُّ شَريفٍ لِشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ**

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٦ . تهذيب الأحكام، ج٦، ص٩٧ .

لِطاعَتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلُّ جَبّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِكُمْ، وَفازَ الْفائِزُونَ بِوِلايَتِكُمْ، بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوانِ، وَعَلى مَنْ جَحَدَ وِلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمانِ، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي، وَنَفسي وَأَهْلي وَمالي، ...)[1] .

ولما أن الله سبحانه أنزل الخلق من العالم الأول الأعلى، إلى العالم الأسفل الأدنى، وابتلى الخلق بالمحن، وشملتهم العوارض والفتن، فنسوا ذلك العهد والميثاق، وخمدت لذلك نيران الأذواق والأشواق، وها أنا أذكرك ببعض ذلك العهد؛ أي: بجزء من مائة ألف جزء من ذلك العهد، الذي أخذ منا في أسفل المراتب، لا ما هو المأخوذ منا في أعلى المراتب، فإن القلوب لا تتحمل لادراكه، والصدور تضيق عن حمله، فيفسد على الضعفاء ما عندهم من الدين، وقد قال الإمام سيد الساجدين عليه السلام: **(لا تتكلم بما تسارع العقول في إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، وليس كلما تسمعه نكراً وسعته عذراً)**[2] .

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٦ .

(٢) قال مولانا محمد بن علي الباقر عليهما السلام: دخل محمد بن علي بن مسلم بن شهاب الزهري، على علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، وهو كئيب حزين، فقال له زين العابدين: ما بالك مهموماً مغموماً؟ .

قال: يا ابن رسول الله هموم وغموم تتوالى عليَّ لما امتحنت به من جهة حساد نعمتي، والطامعين فِيَّ، وممن أرجوه، وممن أحسنت إليه، فيخلف ظني .

فقال له علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام: **(احفظ لسانك تملك به إخوانك.**

←....

وقال الصادق عليه السلام : **(ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حان وقته، ولا كل ما حان وقته حضر أهله)**[1] .

[العلل الأربع وخصوصية كل علة]

واعلم أن الحادث قائم بالعلل الأربع؛ العلة الفاعلية، والعلة المادية، والعلة الصورية، والعلة الغائبة، ولا يخلو حادث عنها، وهي إما بنفسها كما في المخلوق الأول مطلقاً، أو بغيرها كما في سائر المخلوقات في الظاهر، والأئمة أي : الأربعة عشر المعصومون «سلام الله عليهم»؛ هم العلل الأربع، لوجود الكائنات، ولحوادث المكونات .

[العلة الفاعلية]

أما العلة الفاعلية، فقد أقمنا براهين قطيعة، من العقلية والنقلية، في كثير من مباحثنا، وأجوبتنا للمسائل، أن الله سبحانه وتعالى من حيث ذاته

→...

قال الزهري : يا ابن رسول الله إني أحسن إليهم بما يبدر من كلامي .

قال علي بن الحسين عليهما السلام : **هيهات هيهات إياك وأن تعجب من نفسك بذلك، وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره ، فليس كل من تسمعه نكراً يمكنك لأن توسعه عذراً)** . [تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٣٤، ح٨، الافتتاح بالتسمية عند كل فعل . الاحتجاج، ج٢، ص٥٢ . بحار الأنوار، ج٨٦، ص ٢٢٩، ح٦، باب: ٦٧].

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٨) من هذا الكتاب .

المقدسة، لا توصف بالفاعلية ولا بالخالقية لصحة السلب، لصحة قولك : إن الله لم يفعل القبيح، وليس بفاعل له، وأنه تعالى لم يخلق أبا جهل مؤمناً في الخلق الثاني مثلاً، وليس بخالق له أبداً، وإلّا للزم الجبر، بل خلقه بحيث يصلح للإيمان والكفر معاً، فلو كان الخالق والفاعل صفة ذاتية، كانا عين الذات بلا فرق، وسلبهما يستلزم نفي الذات، وسلبها بل عين سلب الذات، إذ لا معنى للفظة الذاتية إلّا الذات لا غير، وصح السلب، ولم تنتف الذات، فذلك دليل أنهما غير الذات، ولأن المشتق يتبع المبدأ، وفرع له يدور معه حيثما دار، فإن كان المبدأ غير الذات، كان المشتق كذلك، وإن كان غيرها كان غيرها، ولذا كان العالم غير الذات كالقادر، ولأن العلم والقدرة هي الذات، وكان الخالق والفاعل غير الذات، لأن الخلق والفعل غيرها، ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، على أن الفاعل صفة لله، لكنها لا في مقام الذات، وإنما هي في مقام الفعل والآثار، وقائمة بالذات قيام صدور، فإن الذات سبحانه وتعالى في ذاته منزهة من جميع القرانات والنسب والإضافات .

ولا شك أن الفاعل له اقتران، وارتباط بالمفعول، فالصفات إنما هي ظهور ذات للذات، بآثار فعلها الفاعل، هو ظهور الذات بالفعل، والخالق ظهور بالخلق، كما أن القائم ظهور زيد بالقيام، والقاعد ظهوره بالقعود، وذلك الظهور أمر حادث، لكنه وجه للقيم، فهو يعرف به، فإذا كان الظهور هو الحادث والخلق، فقد دلت الأخبار المتواترة، بالطرق المتكثرة

---

(١) سورة القصص، الآية : ٣٢ .

من العامة والخاصة؛ أن محمد صلى الله عليه وآله هو أول الخلق[١]، وأول الحوادث، ما سبقهم في الكون والوجود خلق من المخلوقات، ولا ظهور من الظهورات، فكانوا عليهم السلام هم تلك الظهورات، التي تنتهي إليها الأسماء والصفات، وأنحاء التعلقات، وهم «سلام الله عليهم» آيات الله؛ أي: ظهوراته المرتبة في الأفاق، وفي أنفس الخلائق، وقد قال مولانا الصادق عليه السلام: **(وأي آية أراها الله سبحانه الخلق في الأفاق، وفي أنفسهم غيرنا)**، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **(وأي آية أعظم مني، وأي نبأ أكرم مني)**[٢]، وهو قوله: **﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ**

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة، حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور علي عليه السلام، فكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح، والشمس وضوء النهار ونور الأبصار، والعقل والمعرفة، وأبصار العباد وأسماعهم و قلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره، فنحن الأولون، ونحن الآخرون، ونحن السابقون)**. [بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٢، ح٣٨، باب: ١].

(٢) عن أبي حمزة، عن مولانا محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: **﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾** -إلى أن قال-: فقال: **(هي في أمير المؤمنين** «صلوات الله عليه»، **كان أمير المؤمنين** «صلوات الله عليه» **يقول: ما لله عز وجل آية هي أكبر مني، ولا لله من نبأ أعظم مني)**. [أصول الكافي، ج١، ص٢٣٢، ح٣،

←....

الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[١]، فإذا كانوا هم الظهورات والآيات، فكانوا هم الأسماء، كما قال مولانا الصادق عليه السلام : (**نحن الأسماء الحسنى التي أمركم الله أن تدعو بها**)[٢]، وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام عن السجاد عليه السلام : (**السلام على اسم الله الرضى، ونور وجهه المضيء**)[٣] .

وقال الحجة عليه السلام في دعاء رجب : (**وباسمك الذي وضعته على النهار فأضاء، وعلى الليل فأظلم**)[٤]، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (أنا

←...

باب : أن الآيات التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه هم الأئمة عليهم السلام . بحار الأنوار، ج٢٦، ص١، ح٢، باب : ٢٥] .

(١) سورة النمل، الآية : ٨٢ .

(٢) عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: (**إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله : ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، قال : قال أبو عبد الله : (نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلّا بمعرفتنا، قال : فادعوه بها**) . [تفسير العياشي، ج٢، ص٤٥، ح١١٩، في تفسير الآية : ١٨٠ من سورة الأعراف . بحار الأنوار، ج٩١، ص٦، ح٧، باب : ٢٨ . مستدرك الوسائل، ج٥، ص٢٢٩، ح٤، باب : ٣٥] .

(٣) كتاب المزار، ص٩٤ . بحار الأنوار، ج٩٧، ص٣٠١، ح٢٢، باب : ٤ .

(٤) إقبال الأعمال الحسنة، ج٢، ص٣٠٢ . بحار الأنوار، ج٩٥، ص٣١٧ .

الذي وضع اسمي على البرق فلمع، وعلى الردق فهمع، وعلى الليل فأظلم، وعلى النهار فأضاء وتبسم)، فإذا كانوا عليهم السلام هم الأسماء، فقد دلت الأخبار المتظافرة، والأدعية الكثيرة، مضافاً على دلالة العقول الصحيحة، أن الله سبحانه خلق الخلق بأسمائه، وهم عليهم السلام تلك الأسماء، فالخالق اسم الله تعالى به خلق الخلق، والفاعل اسم الله تعالى به فعل الأشياء، والقيوم اسم الله تعالى به أقام الأشياء، وأحاط بها، والحي اسم الله، به أحيى الخلق والوجود، وتلك الأسماء هي تلك الحقائق المقدسة بعينها، من غير فرق، فالله هو الخالق لا غير .

فالعلة الفاعلية؛ هي الأسماء، ألا ترى أن علة الضرب مثلاً هو الضارب، والكلام هو المتكلم، وهما جهة الظهور بالضرب، والكلام والأسماء هي حقيقتهم المقدسة، ﴿**وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ**﴾[1]، ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام : (**من قال : نحن خالقون بأمر الله فقد كفر**)، فحينئذٍ إن قلت : إن الله فاعل وخالق بهم صدقت، وإن قلت : إن الله هو الخالق وحده صدقت، ومعاني هذه العبارات غير مختلفة .

ولاحظ في كل الأحوال قوله عليه السلام : (**نزلونا عن الربوبية، وقولوا فينا ما شئتم، ولن تبلغوا**)[2] .

---

(١) سورة البروج، الآية : ٢٠ .

(٢) لم نجد نص الرواية كما هي بل وجدنا بألفاظ أخرى، عن إسماعيل بن عبد العزيز قال : قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : (**يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين وقولوا بنا ما شئتم فلن تبلغوا**) . [بصائر الدرجات، ص٢٢٩، ح٥، باب : ١٠] .

وأيضاً لما بسط الله بساط الكرم، وأجرى الماء الصافي لامداد النعم، كانوا عليهم السلام أول من جلس على ذلك البساط، وشرب من ذلك الشراب، فسبقوا الكل في الوجود، وخضعوا لبارئهم بالركوع والسجود، فبلغوا الغاية في القرب والزلفى، فتحملوا جميع أسرار الربوبية، والأحكام التكوينية الوجودية؛ لتقدمهم في التلبية، وسبقهم إلى الإجابة، فتوجهت إليهم أسرار القدس، وتوجوا بتاج الإنس، فحكوا جلال الله وجماله، وظهوره وكبريائه، فتشعشعت أنوارهم، وتفرقت هياكلهم وأمثالهم، فمن ذلك الشعاع خلق الله سبحانه الخلق .

فالعلة الفاعلية للشعاع هو المنير، وإن كان المنير متقوم بالغير، ألا ترى الأشعة، فإنها منتسبة إلى الشمس، ومستديرة معها، موجودة بوجودها معدومة بعدمها، وانتهائها إليها، وابتدائها منها .

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : (**نحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائع لنا**)[1] .

وعنهم عليهم السلام : (**إنما سموا الشيعة شيعة؛ لأنهم خلقوا من شعاع أنوارنا**)[2]، وخصوا الشيعة لأن الكافر خلق من ظل أنوراهم، كالشعاع

---

(١) الاحتجاج، ص٤٦٧ . الصراط المستقيم، ج٢، ص٢٣٥ . الغيبة للطوسي، ص٢٨٥ .

(٢) سأل المفضل مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟ .

قال عليه السلام : (**كنا أنواراً حول العرش، نسبح الله ونقدسه، حتى خلق الله سبحانه الملائكة، فقال لهم : سبحوا .**

←....

والظل المنبعثان من الشمس والسراج، وفي الزيارة : (**بِكُمْ فَتَحَ اللهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ**)[١] .

ومنها أيضاً : (**وَإِيابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ**)[٢]، لأن المبدأ منهم، والعود إليهم، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام على ما في خطبة البيان : (**أنا أبدأ وأعيد**)، وهو قوله عليه السلام : (**أنا النقطة تحت الباء**)[٣]،

←...

فقالوا : يا ربنا لا علم لنا؟ .

فقال لنا : سبحوا، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور، فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا، ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه السبابة والوسطى، وقال : كهاتين .

ثم قال : يا مفضل أتدري لم سميت الشيعة شيعة؟، يا مفضل شيعتنا منا، ونحن من شيعتنا، أما ترى هذه الشمس أين تبدو؟ .

قلت : من مشرق .

وقال : إلى أين تعود؟ .

قلت : إلى مغرب .

قال عليه السلام : هكذا شيعتنا منا بدؤا وإلينا يعودون) . [بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢١، ح٣٤، باب : ١] .

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٩) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٩) من هذا الكتاب .

(٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٤٥، فصل : ٣ معاني حرف الباء والنقطة .

ويريد بالبسملة البسملة التكوينية، ويريد بالباء عالم الإبتداع، ويريد بالنقطة سر الإختراع، فافهم .

ولو لم أخف الناس، ولم يمنعني الكسالة والضعف، لأسمعتك من غرائب الكلام، وعجائب البيان، ولكن فيما ذكرته عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لمن نظر فأبصر .

[العلة المادية]

أما العلة المادية؛ فاعلم أن الله عزّ وجلّ حيث جعلهم سراجاً وهاجاً كما قال في قوله : ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ**﴾[1]؛ وهو محمد صلى الله عليه وآله، ﴿**كَمِشْكَاةٍ**﴾؛ هي صدره الشريف، ﴿**فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾[2]، وهو العقل الكلي الذي هو عقله المبارك، ﴿**الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ**﴾[3]، الزجاجة قلبه العرش المركب من الأنوار الأربعة، ﴿**الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾[4] لكوكب مظهر اسم من أسماء الله، تعالى في التكوين بمراتبه إلى أن ينتهي إلى عالم الأجسام، فظهر ذلك الاسم على على صفة ذلك الرسم، والدري أحسن الكواكب وأشرفها، وهو إشارة إلى أنه أعظم الأسماء وأشرفها، ﴿**يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ**﴾[5]؛ هي شجرة المشيئة،

(١) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٤) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٥) سورة النور، الآية : ٣٥ .

﴿مُّبَارَكَةٍ﴾؛ لأن الله ﷻ جعل فيها النمو والزيادة، حتى ملأ العالم بأثمارها، وأغصانها وأوراقها، وظهورات تلك الأثمار، والأوراق والأغصان، ﴿زَيْتُونةٍ﴾؛ لقوة الحران المعتدلة، التي هي طبع الفاعل، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾(١)، لا قديمة ولا حادثة، كسائر الحوادث المختلفة المتغيرة والمتبدلة، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾(٢)، يكاد قابليتها لشدة صفائها واعتدالها، يظفر في الوجود، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾(٣)؛ أي: نار المشيئة، فلما مست النار ذلك الزيت الذي هو حقيقتهم المقدسة، ظهر العقل الذي هو السراج الوهاج، فأضاء العالم، وبرز نوره، وتشعشع شعاعه، فجعل الله سبحانه ذلك النور والشعاع، مادة لخلق الموجودات، فأولهم الأنبياء عليهم السلام، حيث خلقهم الله من ذلك النور، وهو قول مولانا الصادق عليه السلام: (**إن الله خلق المؤمنين من نوره**)(٤)، ونورهم نور الله، إذ ليس الله سبحانه نور حادث سواهم، وسوى نورهم «صلى الله عليهم» ألا ترى إلى ما قال تعالى في القرآن، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾(٥).

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٤) بصائر الدرجات، ص٩٠، ح٢، باب: ١١ ما أخذ الله ميثاق المؤمنين لأئمة آل محمد صلى الله عليه وآله. مجمع البحرين، ج١، ص٥٠. فضائل الشيعة، ص٢٦، ح٢١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

وفي الزيارة : (**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِكُمْ**)[١]، فثبت أن نورهم عليهم السلام نور الله سبحانه .

وفي الدعاء : (**لا يسمع فيه صوت إلّا صوتك، ولا يرى فيه نور إلّا نورك**)[٢]، والنور هو مادة الكائنات، وذلك منهم عليهم السلام، كشعاع الشمس من الشمس .

فإذا قلنا : أنهم عليهم السلام هم العلة المادية؛ نريد أن نورهم مادة الأشياء والموجودات، لا ذاتهم حاشاهم عن ذلك .

[العلة الصورية]

وأما العلة الصورية؛ فاعلم أن الخلق على قسمين؛ مؤمن وكافر، فالمؤمن خلقه[٣] الله سبحانه من هيكل التوحيد، والكافر خلقه من ظل تلك الهيئة، وهيكل التوحيد الصبغ في الرحمة، وهي الصور الإنسانية، وهي صور الرضا والتسليم، والخضوع والخشوع، والركوع والسجود، والقيام بخدمة المحبوب، وهي لما تجسدت صارت على هذه الهيئة المشخصة، وهي هيئة الصلاة، وهي هيئة الولاية، قال علي عليه السلام : (**الصّورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجمع صور العالمين،**

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٩) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٧) من هذا الكتاب .

(٣) في النسخة الحجرية : «خلقهم» .

وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الصراط المستقيم، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنــار)، وهذه الصور هي صورهم، قد ألبسهم الله تعالـــى إياها في القديم الأول، بمقتضى طلباهم الذاتية، فهم الإنســان حقيقــة لا سواهم .

ولما كان ما سواهم من آثارهم، وشؤونات أطوارهم، ظهر المثــال والأثر على هيئة صفة المؤثر، كالصور الحاكية في المــرآة عــن المقابــل الخارجي، فلما حكت مرآة الأنبياء، وطبقات الرعية، إما ظاهراً أو باطناً معاً، أو ظاهراً فقط، تلك الصور الطيبة الإلهية، على ما هو عليه من غــير تغيير لاستقامة تلك المرآة وصفائها، وعدم اعوجاجها حقيقة أم إضــافية، ظهرت على الصور الإنسانية، وسموا إنساناً، وما لم تحك المرآة إياها على ما هي عليه، ظهرت تلك الصور الإنسانية على مقتضى المرآة، فــتغيرت الصور الإنسانية المرئية في المرآة على حسبها، فظهرت على صور مختلفة، وهيئات متفاوتة، من صور الملائكة والجن، والوحوش والطيور، وســائر الحيوانات والنباتات، والجمادات والمعادن، وسائر المخلوقات، وظل هيكل التوحيد، هيكل النفاق والكفر، وكلاهما متقومان بهم، إلّا أن الأول منهم وإليهم وبهم، والثاني بهم وعنهم، لا منهم وإليهم، فهم العلة الصــورية، لجميع الموجودات، من أهل الأرضين والسماوات .

وأيضاً أن الله سبحانه تعالى خلق الصــور والهيئــات، بالإجابــة والإنكار لولايتهم، حين قال لهم : **(أ لست بربكم؟، ومحمــد نبــيكم، وعلي والأئمة من ولد فاطمة الصديقة** «صلوات الله عليهم أجمعــين»

أولياؤكم؟)[١]، فمن أجاب وأقر مصدقاً معترفاً، خلقه الله سبحانه على الصور الطيبة، ومن أنكر وجحد معانداً مبغضاً، خلقه على الصور الخبيثة الباطلة القبيحة، فكانوا عليهم السلام باب سور مدينة العلم، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب[٢]، وهم الماء النازل من قرآن النور المحمدي صلى الله عليه وآله، شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلَّا خساراً[٣]، وشرح الحال في مثل هذا المقام موكول إلى شرح الخطبة الطتنجية[٤]، فإن فيها من الأسرار ما لا تحتمله القلوب والأنظار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

---

(١) لم نجد رواية كاملة بهذه الألفاظ، والذي وجدناه باختلاف في بعض الألفاظ، وهي في عدة مصادر؛ منها : بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٦٨، ح ٢، باب : ٦. تفسير القمي، ج١، ص٢٤٨، في معنى الآية : ١٧١ من سورة الأعراف . مدينة المعاجز، ج١، ص٥٩ . وغير ذلك من المصادر، والرواية هي : قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ** ..﴾، كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال : (**أ لست بربكم، ومحمد نبيكم، وعلي إمامكم، والأئمة الهادون أئمتكم؟**) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ . [سورة الحديد، الآية : ١٣] .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلَّا خَسَارًا**﴾ . [سورة الإسراء، الآية : ٨٢] .

(٤) شرح الخطبة الطُتنجية، ج٢، ص٣٨٨ .

[العلة الغائية]

وأما العلة الغائبة؛ فاعلم أن الله تعالى خلق الخلق لهم، لتشييد سلطانهم، ولتبيين برهانهم، وإظهار أنوارهم، وإعلان أسرارهم، وقد قال سبحانه : (**كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف**)(١)، وقال ﷻ في القران : ﴿**مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(٢)، ومعرفة الخلق لله تعالى وعباداتهم له تعالى إنما هي لإظهار معرفة آل محمد «عليه وعليهم السلام» وعبادتهم لله تعالى، بل هي عين معرفتهم، وعبادتهم بيان ذلك بالمثال الإجمالي لأولي الأفئدة، من المؤمنين الممتحنين، هو أن الله سبحانه خلق القلب لب الإنسان، وحقيقته مجمعاً للأنوار الإلهية، ومهبط للأسرار القدسية، وأودع فيه العلوم الحقيقية، ولكن لتنزه القلب عن تعلقات الأجسام، وتعاليه عن التكدر بكروان عالم النقش والارتسام، كان أمره لم يزل مخفياً عن كل المراتب للواقفين، مقامات العوالم السفلية، فخلق الله سبحانه القوى والمشاعر، والأعضاء والجوارح، والحواس الظاهرية والباطنية، لتظهر إدراكات القلب، وتتبين أنواره، وتشاهد أسراره، فما أدركته العيون، وأدركته الأسماع، وشمته المناخر، وذاقته الأذواق، ولمسته الجوارح، وأدركته وعلمته سائر الحواس الباطنية، كل ذلك إدراك القلب وحده في هذه المرايا، وهي لإظهار نور القلب، فالمدرك الحقيقي إنما هو القلب لا غير، فهو العلة الغائية لخلق تلك

(١) عوالي اللآلي، ج١، ص٥٥ . بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٩٩ .

(٢) سورة الذاريات، الآية : ٥٦ .

الآلات والعضلات، والأعصاب والعروق، والقوى والمشاعر، وسائر المراتب، وهو المتحرك وحده في تلك الكثرات، وهي شؤونات القلب، ومنه نشأت، وعنه نطقت، وعليه دلت، وإليه عادت، وله تأصلت ونشأت، وبه برزت، وبنوره قامت، وكذلك نسبة الخلق إلى الأئمة عليهم السلام، فإنهم قلب العالم في أسفل المراتب، فالخلق كلهم ألسنتهم عليهم السلام، ناطقون بها بثناء الله، وكلها جوارح لهم، عبدوا الله تعالى، فهم العابدون لا سواهم، وهم العارفون لا غيرهم، وما سواهم لإظهار عبادتهم، وانتشار معرفتهم قوامهم بهم، لأنهم شؤونات آثارهم، واقتضاءات أطوارهم، ألا ترى الشمس، فإن كل ما تجد في الشعاع من النور والسناء، فإنما هو من الشمس وإليها، وما تجد في الشعاع من النور في الكدورة والتغير والاختلاف، فإنما هو من الأرض، ومن المرآة والجدار، وهو بالشمس لا إلى الشمس، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة : (**أنا الأمل والمأمول**)[1]، فافهم فقد اسمعتك تغريد الورقاء على الأفنان، بفنون الألحان.

فإذا عرفت أنهم عليهم السلام العلل الأربع للوجود، وبهم قام كل مشهود ومفقود، فاعلم أنهم ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ**

---

(١) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٣١٢، فصل : ١٤٩، ومن خطبة له تسمى التطنجية .

نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[١] .

فإذن اخضع لهم واخشع، وذلل نفسك بالتسليم لأمرهم عليهم السلام، لما تذللت السماوات والأرض، والعرش والكرسي، واللوح والقلم لهم عليهم السلام، كما قال عليه السلام في الزيارة : (**وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِكُمْ**)[٢]، وفي الحديث : (**إن الله عز وجل خلق العرش والكرسي من نور محمد صلى الله عليه وآله، وخلق الملائكة كلهم من نور علي عليه السلام، وخلق السماوات والأرض من نور فاطمة عليها السلام، وخلق الشمس والقمر من نور مولانا الحسن عليه السلام، وخلق الجنة وحور العين من نور سيدنا الحسين عليه السلام**)، وكل الخيرات يفاض على الخلائق من المتولدات، بالعرش والكرسي، والشمس والقمر، والسماوات والأرضين، فافهم واستبين بما ذكرنا أمرك، واسئل الله ربك أن يفتح عليك باب الفهم والمعرفة، لا في ما يمكنني أن أصرح ما ألوح، ولا أن ألوح ما أحاط قلبي، واستكن ضميري، والله خليفتي عليك .

[مقامات ما جرى على أهل البيت عليهم السلام من المصائب والرزايا]

[مقام البيان]

وأما ما جرى عليهم من المصائب والرزايا «روحي فداهم»، فاعلم أن لهم عليهم السلام مقامات عديدة، نقتصر هنا بذكر أربعة منها بالإجمال؛ **الأول** : مقام البيان؛ وهم في هذا المقام سر التوحيد، وعين التفريد،

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات : ٢٦-٢٧-٢٨-٢٩ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٩) من هذا الكتاب .

وحقيقة التنـــزيه، وهذا مقامهم الذي لا يقع عليهم اسم ولا صفة، وهو مقامهم الذي غيب لا يدرك، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**أنا الذي لا يقع عليَّ اسم ولا صفة**)، وقال عليه السلام : (**ظاهري ولاية، وباطني غيـــب لا يدرك**)[١]، وهو المقام الذي لا يسعهم فيه ملك مقرب، ولا نبي مرســـل، وهو مقام من عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، وهـــو مقام المقامات، (**ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بهـــا من عرفك، لا فرق بينك وبينها، إلّا أنهم عبادك وخلقُـــكَ**)[٢]، وهـــذا المقام يشتمل على مقامات كثيرة؛ مثل مقام الهوية الظاهرة لإدراك الخلق بالخلق، ومقام الألوهية كذلك، ومقام الأحدية كذلك، ومقام الواحدية، ومقام الرحمانية، ومقام سائر الأسماء المتقابلة، والسمات المتماثلة، فهم في هذا المقام الأسماء الحسنى، والأمثال العليا، وقد قال عليه السلام في تفسير لفظ الجلالة، على ما رواه الصدوق في التوحيد : (**الألف : آلاء الله على خلقه، من النعيم بولايتنا، واللام : إلزام الله خلقه ولايتنا، والهاء : هوان لمن خالف محمداً وآل محمد**)[٣]، فلنقبض العنان، فللحيطان آذان.

---

(١) قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : (**ظاهري إمامة، وباطني غيب لا يـــدرك**) . [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص١٣١، فصـــل : ٥٩ أنهم فيض عن الكلمة الإلهية «الغيب» وأن شيعتهم يدخلون الجنة بغير ...] .

(٢) إقبال الأعمـــال الحسنة، ص١٤٥، في أدعية أيام شـــهر رجـــب . البلـــد الأميـــن، ص٢٥٤، في دعاء كل يوم من أيام رجب . مصـــباح المتهجـــد، ص٥٥٦، في دعاء كل يوم من أيام رجب .

(٣) التوحيد، ص٢٣٠ . بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٣١، باب : ٢٩ .

أخاف عليك من غيري ومني ومنك ومن مكانك والزمان
فلو أني جعلتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

[مقام المعاني]

الثاني : مقام المعاني؛ وهم في هذا المقام معاني أسماء الله تعالى، ومبادئ الاشتقاقات في الأسماء المشتقة، وقد دلت الأدلة القطيعة، من العقلية والنقلية، أن أسماء الله تعالى كلها مشتقة، فهم العلم للعالم، والقدرة للقادر، والحكمة للحكيم، والجلال للجليل، والجمال للجميل، والرحمة للرحمان، والرحيم والكريم، والنور للمنير، وهكذا باقي المبادئ لأسمائه، وقد شرح بعضها مفصلاً وكلها مجملاً، في دعاء السحر لشهر رمضان المبارك في قوله عليه السلام : **(اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه، وكل بهائك بهي)** -إلى أن قال عليه السلام في آخر الدعاء- : **(اللهم إني أسألك بما أنت فيه من الشأن والجبروت، وأسألك بكل شأن وحده وجبروت وحدها، ...)**[1] .

وهذا ما فصل في أول الدعاء إلى هذا المقام، وفي هذا التفصيل سر قد خفي على أكثر الناس والأفهام، وقال الباقر عليه السلام لجابر : يا جابر عليك بالبيان والمعاني .

قال : وما البيان والمعاني؟ .

قال عليه السلام : قال علي عليه السلام : **(أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً .**

---

(١) إقبال الأعمال الحسنة، ج١، ص١٧٧، فصل : ١٣ دعاء آخر في السحر .
بحار الأنوار، ج٩٥، ص٩٤ .

وأما المعاني؛ فنحن معانيه، ونحن علمه، ونحن حكمه، ونحن أمره، ونحن عينه، إذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريد، نحن ظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته، وفوض إلينا أمر عباده، أن إلينا إياب الخلق، ثم أن علينا حسابهم)[1] .

[مقام الأبواب]

الثالث : مقام الأبواب؛ وهم في هذا المقام الواسطة في الصّدور، وإيجاد الخلائق، وإيصال ما لهم إليهم، مما يجري من فوارة القدر، المستودع عندهم من جميع أحكامهم؛ أي : الخلائق من أحكام الذوات والصفات، والشرعيات والوجوديات، وسائر ما اقتضيه النسمات، من خالق البريات،

---

(١) قال مولانا محمد بن علي الباقر عليه السلام : **(يا جابر عليك بالبيان والمعاني .**

قال : قلت : وما البيان والمعاني؟ .

فقال عليه السلام : **أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً .**

وأما المعاني؛ فنحن معانيه، ونحن جنبه، ويده ولسانه، وأمره وحكمه، وكلمته وعلمه وحقه، إذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريده .

نحن المثاني التي أعطى الله نبينا، ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه سجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإن إلينا إياب الخلق، ثم أن علينا حسابهم) [مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٣٣٦، فصل : ١٦٣، قول الباقر عليه السلام لجابر : عليك بالبيان والمعاني] .

وكذا واسطة الخلق في الانصدار والإنوجاد، وما اقتضت تلك الكينونات، وطلبت فلا يقع، واقتضاءاتهم إلّا إليهم عليهم السلام، وهم من الله يمدونهم بالمدد الوجودي كالشرع، وهو قوله عليه السلام في الدعاء: (**إلهي وقف السائلون ببابك، ولاذ الفقراء بجنابك**)، وهم عليهم السلام الباب المبتلى والجناب.

وقال عليه السلام في الزيارة: (**إرادة الرب ومقادير أموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم، الصادر عما فصل من أحكام العباد**)[1].

والمصدر المضاف يفيد العموم، والجمع المضاف كذلك، والجمع المحلى باللام كذلك، فافهم.

فهم في هذا المقام (**أعضاد وأشهاد، ومناة وأذواد، وحفظة ورواد، فبهم ملأت سمائك وأرضك، حتى ظهر أن لا إله إلّا أنت**)[2]، فافهم إن كنت تفهم، وإلّا فاسلّم تسلم.

[مقام الإمامة]

الرّابع: مقام الإمامة؛ وهم في هذا المقام حجة الله على الخلق أجمعين، وولي الله على الأولين والآخرين، وحبل الله القوي المتين، ونور الله في السماوات والأرضين، وهم في هذا المقام إمام الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على الورى، والسبيل من سلكه نجى، ومن سلك غيره

---

(١) فروع الكافي، ج٤، ص٥٧٧، ح٢، باب: زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام. وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٩٠، ح١، باب: ٦٢ استحباب زيارة الحسين عليه السلام.

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٢) من هذا الكتاب.

هوى، معدن العلوم النبوية، وجامع الفضائل الإلهية، المعصوم من كل ذلك، والمطهر من كل خلل مؤيد، بالروح مسدد، بالملك الأعظم ناظر إلى أعمال الخلائق، وشاهد من الله عليهم، عالم بسرائرهم وضمائرهم، من كلما كان في الوجود من أهل السماوات والأرض، وأهل المشرق والمغرب، ما فوق السماوات، وما في جو الهواء، وما في لجج البحار، وأودية القفار، وما تحت الأرضين من الأخبار، ولما يحدث بالليل والنهار، ولا يخفى عليهم حال من تلك الأحوال، ظاهر بالعبودية المحضة، خالص لله العبودية، وارد عليه جميع أحكام العبودية بما هو فوق النهاية، قائم بالعبادة، وفي ظلمة الليل، صائم في النهار .

ولما كان الله تعالى سبقت كلمته، ونفذت مشيئته، على أنه لا يلجاء أحد في التكليف والإيمان، وهم ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾(١)، ما أجبروا العباد على طاعتهم، والانقياد لأمرهم، والاتباع لحكمهم، والانزجار عن مناهيهم، ولا امسكوا عن إظهار الحق، وإلّا تعالت كلمة الحق، ولا ظهر بأمر الله، وما بلغت حجة الله .

ولما كان أغلب الخلق وأكثرهم، قد تمكنت فيهم النفس الأمارة بالسوء، وأجابوا داعي الشيطان، ونفروا عن طاعة الله، كانو لا يطيعونهم عليهم السلام، ويدعون لأنفسهم الملعونة الرئاسة عليهم، ولا يحبون أن يطاعوا، فبذلوا مجهودهم لإطفاء نورهم، وخمود ذكرهم، وشمروا عن ساق الجد

(١) سورة الأنبياء، الآيتان : ٢٦-٢٧ .

في إيذائهم وأذيتهم، وقتلهم ونهبهم، والإهانة إليهم، وهم عليهم السلام لو أرادوا دفعهم عن نفسهم الشريفة، لفعلوا بأحسن الوجوه وأسهلها، ولكنهم أرادوا وأحبوا إمضاء حكم الله؛ من عدم إلجاء الخلق على التكليف والإيمان، ولو لم يقبل من المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان، ويبطنون النفاق، لقطع الفيض عن النطف الطيبة التي في أصلاب أولئك الكفار والمنافقين، وهذا لا يصحّ في الحكمة، فسكتوا وصبروا، ودعوا إلى الخلق إلى الإيمان، وأوضحوا الحجة، ودعوهم بالحكمة[١]، والموعظة الحسنة[٢] .

وبالجملة[٣]؛ فلم يطع لهم أمر، ولم تضع إليهم إذن، فسكتوا عنهم، فلما رأت الأشرار سكوهم، وعدم سلّهم السيف، تجروا عليهم وهتكوا حرمتهم، وأوصلوا إليهم أنواع الأذيات والإهانات، حتى قتلوا رجالهم، وذبحوا أطفالهم، وسفكوا دمائهم، وسبوا ذراريهم ونسائهم، ونهبوا أموالهم، وشهروا رأوسهم في الأقطار والبلدان، كل ذلك اتمام للحجة على الخلق، ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٤]، ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ**

---

(١) **دليل الحكمة هو** : «الدليل الذوقي العياني، الذي تلزم منه الضرورة والبداهة»، **ومستنده** : «الفؤاد والنقل»، **وشرطه** : «إنصاف ربك» . [شرح الفوائد، ص٧، «حجري»] .

(٢) تقدم تعريف هذا المصطلح في الصفحة رقم (٤٨) من هذا الكتاب .

(٣) في النسخة الحجرية : «الجميلة» .

(٤) سورة النمل، الآية : ٩٣ .

عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١)، **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾**(٢) .

فعلى الأطايب من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام فليبك الباكون، وإياهم فليندب النادبون، ولمثلهم فل تذرف الدموع من العيون، ويضج الضاجون، ويعج العاجون، فصبروا على هذه البليات، واحتسبوا الأجر من بارئ السماوات، وداعي المدعوات، مع كمال قدرتهم عليهم السلام على دفع شر أولئك الأشرار عنهم، ومع ذلك تحملوا المشاق، وصبروا على الفراق، قد غرقت سهام الأمة في أكبادهم، ورماحهم مشرعة في نحورهم، وسيوفهم مولعة في دمائهم، يشفى أبناء العواهر غليل الفسوق من ورعهم، وغيض الكفر من إيمانهم، بين صريع في المحراب قد فلق السيف هامته، وشهيد فوق الجنازة قد شبكت بالسهام أكفانه، وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة راسه، ومكبل في السجن قد رصت بالحديد أعضاءه، ومسموم قد قطعت بمجموع السم أمعاءه .

فهل المصائب إلّا التي لزمتهم، والمصائب إلّا التي عمتهم، والفجائع إلّا التي خصتهم، والقوارع إلّا التي طرقتهم «صلوات الله عليهم، وعلى أرواحهم وأجسادهم» .

فلما رأى خاتمهم وقائمهم «صلى الله عليه وعليهم»، أن الأمة

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٧٨ .

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان : ٤٢-٤٣ .

الملعونة أرادوا قتله، وخلو الأرض من خليفة الله، والداعي إليه بالحق، وفي ذلك فساد العالم، وخراب الخلق، لأن الأرض إذا خلت من الإمام ساخت بأهلها[١]، وفي ذلك هدم النظام، وفساد الحكمة، أخفى «صلوات الله عليه» شخصه عن أعين الظالمين، ليسلم عن شر أولئك المنافقين، ويحفظ رقاب شيعته المقرين به، عن ظلم أولئك الظلمة الفاسقين، إلى أن نقضوا الأصلاب الخبيثة من النطف الطيبة، وتصفوا الأصلاب الطيبة من النطف الخبيثة، فهناك يقوم بالأمر، ويسل السيف، ويطهر الأرض من تلك الأشرار، ولا يقبل الإيمان من المنافقين الفجار، وهو قول شيخنا وأستاذنا «جعلني الله فداه»، في قصيدته يرثي بها الحسين عليه السلام :

نظار يا معشر الفجار غاشية

يقوم بالإذن حيث الغضب مسلول[٢]

(١) عن سليمان الجعفري، قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام قلت : تخلو الأرض من حجة الله؟ .

قال : (**لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها**) . [بصائر الدرجات، ص٥٠٩، ح٨، باب : ١٢ أن الأرض لا تبقى بغير إمام لو بقت لساخت . عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٤٦، ح٤، باب : ٢٨ . مختصر بصائر الدرجات، ص٦٤، ح٣٤، باب : أحاديث متفرقة في شأن أهل البيت عليهم السلام] .

(٢) ديوان الشيخ الأوحد الأحسائي، ص٢٢١، القصيدة رقم : ٤، بيت : ٨٦ .

وإليه الإشارة بقوله ﷻ : ﴿**لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾(١)، فإذن أفجع في مصايبهم، وأبك على رزاياهم، لأن الإمام عليه السلام قلب الإمام، فإذا تكدر القلب وتألم، تظهر الكدور والألم في جميع أقطار البدن، من الحواس والقوى، والمشاعر والمدار، بخلاف ما لم تحله الحياة؛ من الشعر والظفر وأمثالهما، فأنت إن كنت حياً في ولايتهم ومحبتهم، لا بد أن تتألم وتتكدر، وتجري الدموع، حتى يأتي فرجهم، وظهور دولتهم، ويطهر الأرض بسيف قائمهم «روحي فداه»، فبعد ذلك يرجعون إلى الدنيا، فأول من يرجع منهم هو الحسين عليه السلام، ابن علي بن أبي طالب، بعد خروج القائم عليه السلام بتسع وخمسين سنة، ثم يرجع مولانا وسيدنا علي عليه السلام؛ لنصرة ابنه الحسين عليه السلام، ويبقى في الدنيا ثلاثمائة سنة، ثم يقتل عليه السلام، فيكر مرة ثانية، وهو هنا دابة الأرض، ثم يقاتل مع إبليس وجنوده عند شاطئ الفرات، ثم ينزل رسول الله صلى الله عليه وآله من السماء، وبيده حربة من النار، فيقتل إبليس .

ثم يظهر الأئمة جميعاً، ويجتمعون في مسجد الكوفة، كل واحد منهم يشكو عند جده صلى الله عليه وآله ما لقي من فرعون وقته، ثم يقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾(٢) .

ثم يقسم الأرض عليهم السلام، فيظهر الجنتان المدهامتان من ظهر مسجد

---

(١) سورة الفتح، الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الزمر، الآية : ٧٤ .

الكوفة، وما ورائها إلى ما شاء الله، فيأتون بالأعداء والمنافقين، الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام حقهم، سيما الرؤوساء الكبار، «عليهم ألف لعنة الله»، فيقتص منهم، ويقتل كل واحد منهم، لكل واحد من المؤمنين، لتشفى قلوبهم سبعين ألف مرة، ويعيش المؤمنين عيشاً رغداً، ولا يموت أحدهم حتى يرى ألف ذكر من صلبه[1]، إلى أن تنتهي مدة ثمانين ألف سنة، من بدء خروج الحسين عليه السلام، فتصعد فاطمة الصديقة «روحي فداها» إلى السماء، ثم بعد ذلك الأئمة الثمانية «سلام الله عليهم»، يصعدون إلى السماء، ثم بعد ذلك يصعد القائم «عجل الله فرجه»، ثم بعد ذلك يصعد مولانا الحسن عليه السلام، بعد مولانا ذلك يصعد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام، ثم بعده يصعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فيبقى الخلق في هرج ومرج أربعين يوماً، لا يفرقون بين الليل والنهار، والرأس والرجلين، والسماء والأرض؛ لأن نور المعرفة والفهم والإدراك، كان معهم «صلى الله عليهم» .

فإذا صعدوا ذهب ذلك، كالشمس إذا غابت غابت الأشعة، فبعد الأربعين ينفخ إسرافيل في الصّور، فيموت الخلق كلهم أجمعون، سوى الأربعة عشر المعصومين «صلى الله عليهم أجمعين»، فيبقى العالم لا حس ولا محسوس، ولا حركة ولا متحرك، ثم ينادي الحق سبحانه بلسان آل محمد «صلى الله عليهم»، كما نادى موسى بالشجرة : (**أين الجبارون؟، وأين المتكبرون؟، وأين الذين أكلوا رزقي؟، وعبدوا غيري؟**، ﴿**لِّمَنِ**

---

(١) راجع معنى هذه الرواية في بحار الأنوار، ج٦، ص٢٩٧ .

الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[١]**، فلا أحد يجيب، ثم هو سبحانه يجيب نفسه بلسانهم : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾**[٢]**)**[٣] .

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام أنه قال : **(نحن السائلون، ونحن المجيبون)**[٤] .

أخبرني شيخي، وثقتي ومعتمدي، عنه عليه السلام بالسند المتصل، **(ويبقى الخلق أمواتاً أربعمائة عام، ثم ينفخ في الصور نفخة أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، فيحشر الخلائق كلهم أجمعون، من الأولين والآخرين، والأنبياء والمرسلين، والملائكة والكروبين، وسائر الخلق أجمعين، فينتصبون منبر النبي صلى الله عليه وآله، اسمه الوسيلة، له ألف مرقاة، من مرقاة إلى أخرى عدو الفرس الجواد ألف سنة، وخمسمائة ألف سنة، كل مرقاة من جوهرة من در وياقوت وألماس، وذهب وفضة وأمثالها، فيصعد عليه النبي صلى الله عليه وآله، حتى يستقر**

---

(١) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) قال الله تعالى في حديث قدسي : **(يا أرض أين ساكنوك، أين المتكبّرون، أين الذين أكلوا رزقي، وعبدوا غيري، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه ويقول : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾)** . [راجع في معنى هذه الرواية بحار الأنوار، ج٥٧، ص٢٤١، في مسائل عبد الله بن سلام، وهي طويلة جداً تركنها خوفاً من الإطالة] .

(٤) غاية المراد، ص٦٨ .

على أعلى المراقي، والخلائق كلهم قيام صفوف .

ثم يأتي مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فيصعد المراقي إلى أن ينتهي إلى الأعلى، دون النبي صلى الله عليه وآله بمرقاة .

ثم يأتي الأئمة عليهم السلام، فيقفون على المراقي حسب مقاماتهم ودرجاتهم، ثم يأتون بلواء الحمد -وهو علم الولاية الكبرى، والسلطنة العظمى، والرئاسة العظمى للنبي صلى الله عليه وآله- **فيسلم إلى علي عليه السلام، وهو حامل اللواء، ثم يأتون بمفاتيح الجنة والنار، فيسلموها لعلي عليه السلام، ثم يرد إليه حساب الخلائق، فيحاسب الخلق على حسب أعمالهم الذاتية والعرضية، ويبلغهم مقاماتهم التي أعدها لهم بأمر الله سبحانه، إما في الجنة أو في النار)**[١] .

فهم «سلام الله عليهم» هم السلاطين في الآخرة، لا يرد أمرها إلى سواهم، وكل الخلائق دونهم ينظرون لحكمهم، ونفاذ أمرهم، وكل أحد محتاجون إليهم، فطوبى لمن حبهم، وأقر واعترف بولايتهم، وتذلل لفضائلهم ومناقبهم، وأمات نفسه في طاعتهم، وضرب صفحاً، وطوى كشحاً عن أعدائهم في ذلك اليوم، فإنه في نعيم وسرور، وجنة وجود .

وويل لمن عصاهم وأبغضهم، وأعرض عنهم، وأدبر عن نور هدايتهم، ووالى أعدائهم، وعادى أوليائهم في ذلك اليوم، فإنه في عذاب أليم، جعلنا الله من أوليائهم التابعين لهديهم، المتقين لآثارهم، السالكين مسلكهم، الخاشعين الخاضعين لهم، المجاورين لقبورهم الظاهرية والباطنية،

(١) راجع مصدر الرواية في بحار الأنوار، ج٧، ص٣٣٥، ح٢١، باختلاف يسير .

الواقفين ببابهم، اللائذين بجنابهم، «صلى الله عليهم وعلى أرواحهم، وأجسادهم، وظاهرهم وباطنهم، ولعنة الله على أعدائهم، وظالميهم ومبغضيهم أجمعين، إلى يوم الدين، وأبد الآبدين، ودهر الداهرين» .

هذا مجمل الأمر في الكشف عن مراتبهم الظاهرية، وإذا طلبت أزيد من ذلك، فارجع إلى ما ذكرنا في شرح الخطبة التطنحية، فإن فيه موارد غريبة، لا تكاد تحملها القلوب والأفكار .

[اعتقاد المؤلف تتَثُل في المعاد يوم القيامة]

قال وأيضاً : نستدعى من جنابك العالي، أن تبين لنا المختار من اعتقادكم في المعاد، هل هو جسماني أو روحاني؟، والذي اخترتموه، بينوا لنا برهانه ودليله .

أقول : هذا آخر مسائله -وفقه الله لمراضيه- اعلم أن المختار عندنا في ذلك، ما أجمع عليه المسلمون، بل المليون، فمن انتحل مذهباً من المذاهب التي أتت به الأنبياء والمرسلون، من القول بالمعاد الجسماني والروحاني معاً، ومن أنكر المعاد الجسماني، فقد خالف الضروة من الدين، وهو كافر إجاعاً من المسلمين، ويجب قتله على اليقين، نعم قد استصعب العلماء إقامة البرهان على ذلك، والدليل القاطع على حشر الأجساد، واكتفوا في إثباته بما ثبت بالضرورة والاجماع، وإخبار المعصومين على نهج القطع واليقين، ولكنا بحول الله، وحسن توفيقه، قد أقمنا على العود الجسماني، براهين قطيعة، عقلية إلهية بالأدلة الثلاثة؛ من الحكمة[1]،

---

(١) تقدم تعريف هذا المصطلح في الصفحة رقم (٩٠) من هذا الكتاب .

والموعظة الحسنة[١]، والمجادلة بالتي هي أحسن[٢]، في كثير من مباحثاتنا، وأجوبتنا للمسائل، سيما في جواب الشاه زادة، عن السؤال عن شبهة الآكل والمأكول، التي صارت معركة للأداء، وسائر الرسائل، ونقتصرها بشيء من ذلك، لتوفر الكلال والملال، وعدم اجتماع الحواس، وتبلبل البال، فنقول : لا شك ولا ريب أن الله ﷻ كامل مطلق، وعالم مطلق، وكماله المطلق مع علمه وقدرته المطلقين، يقتضي أن يجري فعله بدواً على أحسن طود، وأشرف وجه، على أكمل مما يقتضي أن يكون عليه الممكن، وأعظم طور تظهر به صفاته الجلالية، والجمالية والكمالية، ولا شك أن العلم أشرف من الجهل، والعالم أشرف من الجاهل؛ لأن سمة العلم تنبئ عن سعة قدرته الله سبحانه؛ حيث أن الله سبحانه لا يعلم من حيث ذاته، وإنما يعرف من حيث آثاره وأفعاله، فكل ما يكون العلم بالخلق أكثر، يكون العلم بالله أكثر، وكلما يكون العلم بالله أكثر، يكون نوره وقدرته واستنارته من الشمس المضيئة، تحت قعر بحر القدر أكثر، وكل ما يكون نوره أكثر، يكون مقامه ومرتبته ودرجته في الجنة، ومقامات القرب والزلفى أرفع وأعلى، فإذا كان كذلك، فاعلم أنه قد سبقت كلمته بتعدد العوالم، واختلاف مراتب الأشياء، إظهار الصفات

---

(١) تقدم تعريف هذا المصطلح في الصفحة رقم (٤٨) من هذا الكتاب .

(٢) **دليل المجادلة بالتي هي أحسن هو** : «آلة لعلم الشريعة» . **ومستنده** : «العلم والنقل»، **وشرطه**: «إنصاف الخصم». [شرح الفوائد، ص١٤، «حجري»].

الغير المتناهية، ورحمته الواسعة، وقدرته الجامعة، لتعظم بذلك الفيوضات الواردة على المخلوقين، وتحصل بذلك الترقيات الغير المتناهية، وتنال به لطائف اللذات، برفع طرائف الدرجات، ونزول أنحاء الواردات، على اختلاف الطبائع والألوان، فخلق الخلق، وله الحمد والشكر، في عوالم مختلفة، ومراتب متفاوتة، ومقامات متعددة، فلو كان المكلفين من مخلوقاته تعالى، حصل له العلم بجميع تلك الدرجات، والمقامات والمراتب، حتى يشاهدوا في كل مقام تجلياً من تجلياته سبحانه، وظهوراً من ظهوراته، ويعظموه تعالى ويسبحوه حسب ذلك التجلي، بنور العظمة، لترفع لهم بذلك درجة، وينالوا به مرتبة لم تكن لهم قبل ذلك، حيث جرى الله تعالى عادته بإجراء الأشياء على الأسباب، إتماماً لبالغي الحجة، وإكمالاً لعظيم النعمة، كان أحسن وأولى وأبين لظهور العظمة، وأتم للمعرفة، وأقرب إلى التصديق، وأوضح للحجة، وأقطع لعذر لجاج المخالفين، وأدحض لحجة المعاندين، وأبعد لإيراد الشبهة على المؤمنين الموحدين، وأظهر لعموم القدرة .

ولما كان العلم على ما هو التحقيق عين المعلوم، في عالم الإمكان، إذ لابد أن يكون بينه وبين المعلوم مناسبة ومرابطة؛ ليكون أحدهما من سخ الآحر، إذ لم نقل بعينية العلم للمعلوم، كما هو المشهور عند القوم، وجب أن يكون للعالم من سخ كل عالم، حتى يعرفه بما عنده، من وصف ذلك العالم، فوجب أن يكون في كل مكلف إنموذجاً من كل عالم، ليعرفه به، ولينال بتلك المعرفة .

والعلم أعلى الدرجات، وأسنى المقامات، ففعل سبحانه تعالى، وخلق الخلق المكلفين، كل واحد منهم، جامعاً لجميع ما في العالم، حتى تكون عناية الله في الكل على السواء، وإن اختلف المكلفون بالأعمال، في إظهار تلك العوالم، بتلك العناية وعدمه، إلّا أن الوجود لئلا يكون فيما من الله نقص، ولا يكون للناس على الله حجة، فمما لابد منه، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطب المكلف :

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر[1]

ولما كان كليات العوالم ألف ألف، والمكلف جامع للعوالم، يجب أن يكون هذه العوالم كلها فيه، لقوله عليه السلام : وفيك انطوى العالم الأكبر .

ولما ثبت بالدليل القطعي، أن كل شيء مكلف مختار، ذو شعور وإدراك، ويجب أن لا يكون ما من الله ناقصاً، وجب أن يكون كل شيء حاوياً وجامعاً لكل شيء، حتى يصبح ما قال الشاعر :

كل شيء فيه معنى كل شيء
فتفطن واصرف الذهن إليّ
كثرة لا تتناهى عدداً
قد طوتها وحدة الواحد طيّ

ولما كان هذه المراتب مختلفة في الصفاء والكدورة، واللطافة

---

(١) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام، ص٧٣ .

والكثافة، والنورانية والظلمانية، والتجرد والمادية، والطفرة في الوجود باطلة، فوجب أن يكون هذه المراتب منزلة الأعلى فالأعلى .

ولما كان المرتبة السفلى مقام الكثافة بالنسبة إلى الأعلى، فتلك اللطيفة الإلهية، التي هي حقيقة الشيء، متنزل من الأعلى إلى الأسفل، فعند النزول إلى كل عالم، ألبس لباس ذلك العالم، ويتصف بصفته، ويجري عليه حكمه، وهو قوله ﷻ : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1]، وها أنا أذكر لك بعض مقامات عالم النزول البدوي، لتتبين منه حال الصعود والعود، فإن الصعود عين النزول والبدو عين العود، فنقول : إن الله سبحانه لما خلق ذلك النور الرباني، والسر الصمداني، والنفس الهفواني، والخطاب الشفاهي، وهي الحقيقة الإنسانية، وحقيقة كل شيء، فأمر الله تعالى بالإدبار، لتحقق المراتب لإثبات ما حكم الله وقدر، فأدبر ذلك النور، ودخل بلد الهوية، ومنه سافر إلى بلد الألوهية، ومنه سافر ونزل إلى مأوى الأسماء الكلية، ومنه إلى مسكن الصفات النوعية والشخصية، ومنه إلى معدن المعاني؛ أي: معاني الصفات؛ كالجلال والجمال والكبرياء، ومنه إلى مقر أهل المحبة، وأصحاب الذوق والمودة، ومنه إلى مقام أهل دليل الحكمة[2]، وينبوع الأسرار الذوقية، ومنه إلى مقام قاب قوسين، ومنه إلى رتبة العقل المرتفع، ثم منه إلى المستوى، ثم منه إلى مقام سدرة المنتهى، وتفرد على أغصانها

---

(١) سورة الحجر، الآية : ٢١ .

(٢) تقدم تعريف هذا المصطلح في الصفحة رقم (٩٠) من هذا الكتاب .

بأوراقها، إذ يغشى السدرة المنتهى ما يغشى، ثم منه إلى مقـــام الـــرّوح؛ أرض الزعفران، ثم منه إلى شجرة طوبى، ثم منه إلى الجنة العليـــا، ثم إلى الرفوف الأخضر، ومنه إلى مقام ومحل الإنس، ورتبة الائيلاف، وهيهنـــا مبدأ الذر الأول، أو الثاني، أو الثالث، وهناك محل الاختلاف .

ومنه إلى الكثيب الأحمر، ثم إلى مقام الطبيعة، النور الأحمر، الـــذي منه احمرت الحمرة، ثم إلى رتبة الهيولى، ومقام الهباء، والمواد الجســـمانية، وهذا هو البحر الذي حصل من ذوبان الياقوتة الحمراء، لما نظر إليها الحق سبحانه وتعالى بنظر الهيئة، وتلك الياقوتة هي الطبيعة، والبحر هو المـــادة الجسمانية، دخان ذلك البحر لطائف تلك المادة، فصارت منها السماوات بطبقاتها حسب ما لها من اللطافة، وزبد ذلك البحر كثافة تلك المادة، من جهة صلوح لحوق الأعراض والغرائب، فصارت من الأرضون بطبقاتهـــا ومراتبها .

ثم منه إلى عالم الصور، والأشباح والمثال، وجنة هورقليا، وجابلصا وجابلقا، ثم إلى العرش محدد الجهات؛ أي : محدبه، ثم إلى مقعـــره، ثم إلى ملك الكرسي، ثم إلى فلك البروج، ثم إلى فلك المثال، ثم إلى الشمس، ثم من الشمس إلى فلك زحل والقمر، ثم منها إلى فلك المشتري وعطارد، ثم منها إلى فلك المريخ والزهرة، ثم نزل إلى كرة الهواء بمراتبها الثلاثة، بـــل الأربعة، ثم إلى كرة الماء، ثم إلى التراب، مظهر اسم الله المميت، وذلـــك نهاية الإدبار .

ولما كان مقام الإدبار هو الإدبار عن النور، فلا شـــك أن مقـــام التنـــزل يورث الظلمة، وهي تحدث البرودة واليبوسة، وضعفت الحرارة

والرطوبة حينئذٍ شيئاً فشيئاً، إلى أن تغلب البرودة واليبوسة، فتخفى المراتب كلها في التراب، وتموت فيه، ولهذا السر كان التراب بارداً يابساً في الطبيعة، طبع الموت .

ولما كان سرّ التنزل كما ذكرنا، كون الشيء جامعاً مملكاً، ويتحقق العلم والمعرفة، اللذان هما الغاية في خلق العالم، فوجب إثبات هذه المراتب، وعدم إفنائها وإعدامها، وإلَّا لزم أن يكون الصانع حكيماً، أو لا يكون عالماً، أو لا يكون قادراً، والشقوق كلها باطلة بالضرورة الأولية .

ولما تحققت المراتب، وعليت الكثرات، وظهرت طبيعة الموت، وخفي ذلك النور، وتمكن الغيور، وخفيت المراتب العالية أيضاً، أراد الله سبحانه إمضاء ما أراد، وإظهار ما أحكم، وإبرام ما أتقن أمره بالإقبال بعدما أمن بالإدبار .

ولما بينا أن المراتب يجب إثباتها، والمقامات المتحققة في عالم النزول بالنزول يجب عدم محوها وإفنائها، وجب أن يكون الصعود على خلاف طريق النزول، وإلَّا لكان النزول خالياً عن الثمرة والفائدة، والله سبحانه أجل من ذلك، فوجب أن يصعد بحيث يكون المراتب لها محفوظة، ويعود كل مرتبة إلى صفائها الأصلية، فأخذ في الصعود بما يحفظ به المقامات، فأول صعوده كان في مقام الجماد، والمراتب كلها مجتمعة فيه، غير متميزة، بل متعينة للظهور بالقوة البعيدة، ثم ترقى إلى مقام النبات بأسباب حركات الأفلاك، وتعاقب الليل والنهار، ووقوع أشعة الكواكب، ونضجه بالحرارة المعتدلة، والرطوبة السائلة،

والبرودة الحافظة، ولو أردنا نشرح كيفيتها، لطال بنا الكلام، ففي هذه المرتبة ظهرت العناصر الأربعة، التي كانت كامنة، مستجنة فيه بآثارها، فالحرارة والرطوبة التي هي الهواء، نالت به إلى النضج والهضم، والتعفين والتقطير، فالماء يدفع الفضلات الغريبة، والنار تلطف الأجزاء، أو تصعد بها إلى الأعلى، والهواء يدير الأجزاء، ويناسب بين أحوالها، إلى أن يجعلها صالحة للغذاء، وأن يكون جزء للبدن، والأرض يحفظ الأجزاء، وتمسكها عن الاضمحلال والدثور، وبهذا الأشياء وجد النبات، وظهرت العناصر معلنة بآثارها، وبقيت المراتب الأخر في مقام الخفاء والاستجنان .

ثم بعد النفخ الأخر، صعد إلى مقام الحيوان، واعتدلت الطبائع، ونضج البدن، حتى شابه جوهر جوزهر القمر، ظهر فيه سر الحياة، وظهرت فيه ما كان كامناً ومستجناً فيه، من قوى الأفلاك والكواكب، والسيارات والثوابت، والعرش والكرسي، ثم صلح البدن بكثرة النضج، والطبخ في بطن الأم، إلى أن خرج منها، وقوى التأثير بتدبير الشمس والقمر، بمعونة الحرارة الغريزية، وعمل الملائكة المدبرات، كل ذلك بإذن الله -تبارك وتعالى- إلى أن كمل وظهر العقل في الجملة، فخرجت النسمات معلنة بالثناء على خالق السماوات، وتميزت المراتب والدرجات، إلّا أن ظهور تلك المراتب، صارت بألسنة الطلبات والقابليات، ولذا اختلفت في الظهور في الاعتدال، وعدمه وغلبة طبيعة من الطبائع على حسب تلقيها لتلك الأسباب، لكن هذه النسمات لما خرجت من الكثافات، والظلمات الإدبارية، جهلت ما تقتضي كنيوناتهم، من التمسك بالأسباب الموصلة إلى مقاماتهم الأصلية، من الدرجات

والكبات[١]، حسب قبولهم وإنكارهم في الذرات، فكلفها الله سبحانه بالتكاليف التي هي الأسباب الموصلة؛ كالشمس والقمر، وسائر الكواكب في الوصول الظاهري، وتلك الأسباب هي الشريعة المعروفة، والأخذ بها بسبب الوصول كالأعراض، فلما نالوا نصيبهم من الكتاب، تمت هياكلهم بتلك الأسباب، أراد الله سبحانه كشف الغطاء عن بصائرهم وأبصارهم؛ ليروا مقامهم، وأطوارهم وأحوالهم، ودرجاتهم وما خلقوا لأجله، وما بلغوا إلَّا بالأسباب التي أعد الله سبحانه لهم .

ولما كانت تلك الحجب والأغشية، والكثافات الخارجية، تمكنت لأجل إدبارهم في كل مراتبهم، من أجسادهم وأجسامهم، وأرواحهم ونفوسهم وعقولهم، ورسخت في كل ذرة من ذرات وجودهم، وإخراج تلك الكدوراة والحجب، لا يمكن حسب الأسباب، إلَّا بذوبان كل الأجزاء، ليحترق الفاسد، ويبقى الأصل الثابت، كما قال ﷻ : ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾[٢]، فالخلق بعد بلوغهم رتبة التكليف إما إلى الجنة أو إلى النار، إلَّا أن بينه وبين إدراك ملاذها، وإلَّا أنها حجاب يمنعه عن الالتفاف، وذلك الحجاب هو تلك الأوساخ الراسخة في مراتبه وذاتياته، فالله سبحانه يكشف ذلك الغطاء، فيجد نفسه حينئذٍ في القيامة قبل التصفية البالغة من الخلط واللطخ، فيجد حينئذٍ الصراط والميزان، وتطائر الكتب، فإذا خلص عن ذلك كله، يجد

---

(١) هكذا في النسخة الحجرية .

(٢) سورة الرعد، الآية : ١٧ .

نفسه إما إلى الجنة وإلى النار -نستجير بالله من النار- وهو قوله : ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾(١)، وقوله : ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾(٢)، وقوله : ﴿**يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ**﴾(٣)، وقوله : ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾(٤) .

وقال الصادق عليه السلام لمن قال : [اللهم] أدخلني الجنة .

قال : (**لا تقل هكذا أنتم في الجنة، قل: اللهم لا تخرجنا منها**)(٥) .

فإذا وجب كشف الغطاء، وذلك لا يمكن إلَّا بذوبان الأجزاء، كالذهب المغشوش، وكاللبن إذا أرادوا أن يستخرجوا منه الزبد والدهن، وجب كسر الصيغة في كل من فيه خلط، وكدورة خارجية، وذلك الكسر هو عبارة عن الموت، فيه يحصل الكسر .

---

(١) سورة ق، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة التكاثر، الآيات : ٥-٦-٧ .

(٣) سورة الانفطار، الآيتان : ١٥-١٦ .

(٤) سورة النساء، الآية : ١٠ .

(٥) عن موسى بن بكر، قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال رجل في المجلس: أسأل الله الجنة .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : (**أنتم في الجنة، فأسئلوا الله أن لا يخرجكم منها، ...**) . [المحاسن، ج١، ص١٦١، ح١٠٠، باب : ٢٩ . بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٠٢، ح١١، باب : ١٨] .

ولما كانت المراتب متمائزة فمن تمايزت مراتبه كلها في هذه الـــدنيا ينكسر، ولا جسده وجسمه، لأنه الأدنى، وكل أدنى في القوس الصعودي يظهر، ولا متنكر صيغة هذا الجسد، وتنهدم بنيته، وتبقى الروح في عالم المثال ساهرة لا تنام، إما إلى النعيم أو إلى الجحيم، ويبقى الجسد عنـــدها منهدماً، لأن يظهر من الأوساخ، ويعود إلى أصله الذي كان قد بدء فيه أولاً، كما كان آدم عليه السلام قد خلق في الجنة بجسمه وجسده، وهـــو في الصفاء واللطافة أصفى وألطف، وأقوى من جسم العرش، محدد الجهات .

وأما الروح فتبقى في عالمها، منعمة أو معذبة، وذلك هـــو عـــالم البرزخ، وشرح أحواله يطول به الكلام، وهي كذلك إلى أن يـــأتي أوان تصفية الروح، وسائر المراتب، وذلك يكون كلياً عند نفخة الصور، عند موت العالم الكلي، فإنه أيضاً رجل عبد الله مكلف، لا بد له من التصفية، وهو لما كان أقوى بنيه، وأنضج طبيعة، يكون كسر جسده مـــع كســـر أرواح سائر المخلوقات، ممن لا يدركوا زمان الرجعة، ودولة الكرة، فإذا نفخ في الصور، فصعق من في السماوات والأرض، ومات الخلق كلـــهم؛ من النفوس والأرواح والعقول، فيبقى لا حس ولا محسوس، إلّا من شـــاء الله، وهم الذين لم يتطرق في دوائهم، ولا في مراتبـــهم الأصـــلية؛ مـــن أجسادهم، ولا أرواحهم وعقولهم، خلط ولا لطخ، وكدورة وأعـــراض وظلمة، فلا موجب حينئذٍ لكسر صيغتهم، واهدام بنيتهم، وفعلك وفعل ذلك يورث العبث والفساد، والله سبحانه منـــزه عن ذلك .

وهؤلاء هم محمد وآله «صلوات الله وسلامه عليهم»، الأربعة عشر المعصومون «صلوات الله عليهم، وعلى أرواحهم وأجسادهم وأجسامهم، وظاهرهم وباطنهم» .

فيبقى الخلق ﴿**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُـــونَ**﴾[١]، فيأتيهم النداء من الملك الأعلى : (**أين الجبارون؟، أين المتكبرون؟، أيـــن الذين أكلوا رزقي؟، وعبدوا غيري؟، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾**[٢]، **فيجيب نفسه : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾**[٣])[٤] .

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام قال : (**نحن الســـائلون، ونحـــن المجيبون**)، كما تقدم في المسألة السابقة[٥] .

وبالجملة؛ الخلق يبقون أمواتاً إلى أربعمائة سنة .

ولما كان الأرواح تطرق الخلل، والفساد فيها أقل، فيكفي بهذه المدة المعلومة، بخلاف الجسم فإن تطرق الجسم الخلل والفساد فيه أعظم .

وقولي سابقاً : فمن تمايزت مراتبه كلها في هذه الدنيا .

مرادي أن من لم يتميز جميع مراتبه، وما حي إلَّا جسده من ســـائر المستضعفين، فهؤلاء لهم ميتة واحدة، فإذا مـــات جســـدهم، وكانـــت أرواحهم ميتة قبل، فلا يكون لهم برزخ، ولا يحي هؤلاء الأشخاص إلَّـــا بعد النفخة الثانية، فبعد هذه المدة التي ذكرناها ينـــزل من البحر الـــذي تحت العرش، واسمه المزن، والصاد والنون، ماء رائحته رائحة المني، فيمطر

---

(١) سورة النحل، الآية : ٢١ .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٤) تقدم تخريجه الصفحة رقم (٩٤) من هذا الكتاب .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٩٥) من هذا الكتاب .

أربعين صباحاً[1]؛ بحيث يكون وجه الأرض كله ماء واحــداً، فتنبــت اللحوم المصنفات، والأجزاء المنقاة، من كل كثافة ورذالة، وهي صــافية نقية لطيفة، أصفى من محدب يحدد الجهات، بل أصفى من غيبه، لأن لبه وصافيه بالنسبه إلى ظاهره، كَلُبٍّ أجسامنا، وصافيها بالنسبة إلى ظــاهر القشور، فتذهب تلك الأعراض في الجسد بكثرة الحل والدّك، والبقاء في الأرض، كما تذهب الأوساخ بكثرة الدّك في الحمام، والماء الحار، ويبقى

---

(١) عن ابن أبي عميــر، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعــين صــباحاً، فاجتمعت الأوصال، ونبتت اللحوم .
وقــال : أتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وآله فــأخذ بيده وأخرجه إلى البقيــع، فانتهى به إلى قبر فصوت بصاحبه، فقال : قم بإذن الله، فخرج منه رجــل أبيض الرأس واللحية، يمسح التراب عن وجهه، وهو يقول الحمد لله والله أكبر .
فقال جبرائيل : عد بإذن الله .
ثم انتهى به إلى قبر آخر، فقال : قم بإذن الله، فخرج منه رجــل مســود الوجه، و هو يقول : يا حسرتاه يا ثبوراه .
ثم قال له جبرائيل : عد إلى ما كنت فيه بإذن الله .
فقال : يا محمد هكذا يحشرون يوم القيامة، فالمؤمنون يقولون هذا القــول، وهؤلاء يقولون ما ترى) . [تفسير القمي، ج٢، ص٢٢٢، سورة غافر، آية : ٦٨ . بحار الأنوار، ج٦، ص٣٢٤، ح٢، باب : ٢. مجمع البحــرين، ج٤، ص٣٤٢] .

الجسم الحقيقي، الذي خلقه الله عليه في الجنة، ليصح قوله تعالى : ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾(١) .

وكذلك الأرواح بعد أن تتصفى بذهاب الأوساخ عنها، مما لحقها في حال الإدبار والتنزل، فتبقى في الصور نفخة أخرى، ﴿**فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾(٢)، فيرد كل روح، ويتصل ببدنه، اتصال المحب بالمحبوب، والعاشق بالمعشوق، بلا مفارقة بينهما ولا زوال؛ لارتفاع الموانع، وكشف الغطاء، ووجود المقتضي .

وكون الترقي إلى الأعلى، فتحشر من الأرواح الدنياوية بعينها، إلّا أنها على كمال الصفات واللطافة، إما في النورانية، أو في الظلمانية، فلو لم تتلطف لم يكن فرق بين الدنيا والآخرة، ولما صح قوله تعالى : ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾(٣)، فافهم .

فظهر لك إن شاء الله تعالى من هذا البيان التام، الواضح العام؛ أن العود لا يكون إلّا بهذا الجسم لا غير، وما أوردوا في هذا المقام، من شبهة الآكل والمأكول المشهورة، فعلى ما قررنا لك، لا يبقى لها مجال، فإن من أكل آدمياً، وصار غذاءه، ونبت لحمه ودمه منه، فإذا رجع كل شيء إلى أصله، رجع ما أكل إلى التراب .

وأما الجسم الحقيقي لذلك الآدمي المأكول، فليس بمأكول، فلا

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة الزمر، الآية : ٦٨ .

(٣) سورة ق، الآية : ٢٢ .

تهضمه القوة الهاضمة الدنياوية، فإنها أعلى من صفو الأفلاك، فكيف تهضمه القوى المركبة من هذه المركبة، من هذه العناصر، ألا ترى أن الرجل إذا سمن سمناً زايداً عن الحد، لا يخرجه عما هو عليه، من كونه ذلك الرجل، وإذا هزل كذلك، فصار المعلوم أن مدار الشخص الجسماني، الذي تدور عليه روحه، ليس إلّا تلك اللطيفة الصافية، التي تبقى في القبر مستديرة، ولا يغيره الليل والنهار، وهو الجسم الحقيقي .

ولا يلزم أن يكون جسماً كثيفاً، ألا ترى الأفلاك هي أجسام حقيقته، ولا كثافة فيها، وهذا جسم النبي ﷺ، جسم حقيقي، ولكنه ألطف من صفو الأفلاك، فلا يكون له ظل إذا استشرقت به الشمس .

وأما رؤية الخلق لذلك الجسم المطهر، فهى إنما كانت بإرادة منه، ﷺ، إما بأن يرقي الخلق ويقوي أبصارهم، حتى يتمكنوا من النظر إليه، أو بأن يتنزل إلى مقامهم بحكم ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[1] .

فالجسم الحقيقي لكل شيء، لا يكون غذاء لشيء آخر، فإذا أكل أحد أجسام كل الناس، فصار جزء بدنه الأصلي شيء من تلك اللحوم، وإنما صارت أعراضها جزءاً لأعراضها، كما إذا تراكمت الأوساخ، والتمت ونضجت، تحرك وصار لها روح جزئي عرضي، ألا ترى الفيران المتكونة من الطين، ويتفق أن يكون النصف طيناً، والنصف الآخر فأرة،

(١) سورة الأنعام، الآية : ٩ .

وكذلك العقارب تتكون إذا ندبت اللبنتين[١]، وجعلت إحديهما على الأخرى، ألا ترى القمل والبرغيث، فإنها تتولد وتتكون من الأوساخ .

وبالجملة؛ فتلك الأجزاء الأصلية، تبقى غيباً في الأجواء العرضية، التي صارت جزء لهذه الأوساخ العرضية، كبرداة الذهب في دكان الصائغ، ولا يفنى ولا يعدم، ولا يكون جزءاً لشيء، على أن تعود كما كانت، وكيف تكون جزء للآخر، وأنه نزل من سدرة المنتهى، بل كان نوراً ذائباً كان في حجاب العزة، يسبيح الله سبحانه بألف لسان، وفي كل لسان ألف لغة، فلما استشعر بنفسه، وشاهد عظمة ربه، استبطن الخوف، وغلبت عليه برد الخوف فانجمد فكان ألماساً، فانغمس في بحر الهيبة، وتردى بالخشوع، ومستازره[٢] بالخضوع، فقام منتصباً للقيام بالخدمة، فظهر له مقام القدرة والقهر، فبكى من هيبة القهار أربعمائة ألف عام، دماً عبيطاً، بقوة حرارة قلبه، ومزجها ببرودة خوفه، المتحصل منها الدم العبيط، حتى غرق في ذلك البحر، ومات من شدة الوجد، ثم أفاق من غشوته، دخل في حوصلة الطير الأخضر من طير القدس، فطار به إلى عالم الأنس، فلما استوفى خطه، فخرج يطلب مركزه، فالتقمه الحوت، فسار به في ظلمات ثلاث، حتى أتي به إلى ساحل البحر الأخضر، أطلعه من بطنه، فتناثرت أعضاءه، فصارته الطيور ولحقته به إلى الطائر الأول الأخضر، فرمى به في أرض الزعفران، فتقوى واستقام، فحكى صنع الملك

(١) هكذا في النسخة الحجرية .

(٢) هكذا في النسخة الحجرية .

العلام، فظهر يحكي آية الله سبحانه، في ملكه وملكوته، حتى ظهرت معضلة في النفوس، فظهرت في الأفلاك، ووجدت على هيكلها، وهذا هو حقيقة الشيء من روحه وجسمه، فكيف يكون جزءاً لحقيقة أخرى مثله، مع أن تلك الحقيقة أيضاً كاملة في نفسها، ومكملة لقوسي الإقبال والإدبار، ولكن لما انجمدت القرائح والطبائع، وغلبت البرودة واليبوسة والرطوبة، وتولدت منها الأمراض المزمنة، وظهر المرض في كل جزء من أجزاء الأكوان، الأرضية السفلية، فكانوا لا يبصرون ولا يعقلون، ويتوهمون أن الآدمي حقيقة يكون غذاء لآدمي آخر، وذلك معلوم هذا البيان التام إن شاء الله، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، والحمد لله رب العالمين .

قد وقع الفراغ من تسويدها بيد منشئها، في الثاني عشر من شهر ربيع المولود «١٢٧٧هـ»، مع كمال اختلال البال، واغتشاش الأحوال، وعروض الأمراض المانعة من استقامة الحال، مع ما برز من تهجم أمواج الهموم والغموم، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم .

١- **أصول الكافي**؛ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى عام : «٣٢٩هـ»، دار الأضواء، بيروت لبنان : «١٤٠٥هـ»، ودار الأسوة إيران «١٤١٨هـ» .

٢- **إقبال الأعمال الحسنة**؛ للسيد علي بن موسى بن طاووس الحلي، المتوفى عام : «٦٥٦هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ»، ومكتبة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤١٤هـ» .

٣- **أمالي الصدوق**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة : «١٤٠٠هـ» .

٤- **الاختصاص**؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان: «١٤٠٢ هـ».

٥- **الاحتجاج**؛ لأبي منصور، أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد: «١٤٠٣ هـ».

٦- **بحار الأنوار**؛ للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى عام: «١١١٠هـ»، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة : «١٤٠٣هـ»، ومؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، «١٤٠٣هـ» .

٧- **بصائر الدرجات**، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار؛ المتوفى عام : «٢٩٠هـ»، مؤسسة النعمان، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤١٢هـ»، ومؤسسة الأعلمي، طهران، «١٤٠٤هـ» .

٨- **البلد الأمين**؛ للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي، المتوفى عام : «٩٠٥هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٢٥هـ» . ومكتبة الصدوق، طهران إيران، «١٣٨٣ـ» .

٩- **تحف العقول**؛ للحسن بن شعبة البحراني، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة : «١٤٠٤هـ» .

١٠- **التوحيد**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة : «١٣٩٨هـ»، ومنشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان : «ب-ت-ط». ودار المعرفة، بيروت لبنان .

١١- **تفسير العيّاشي**، للمحدِّث الجليل أبي النَّصر محمد بن عيَّاش، المتوفى عام : «٣٢٠هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ» .

١٢- **تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام**؛ منسوب للإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، المتوفى عام : «٢٥٠هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢١هـ» .

١٣- **تفسير الصراط المستقيم**؛ لعلي بن يونس النباطي البياضي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف : «١٣٨٤ هـ»، والمكتبة المرتضوية لإحياء التراث الجعفرية، الطبعة الأولى : «١٣٨٤هـ» .

١٤- **تفسير القمّي**؛ لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٢ هـ» .

١٥- **تأويل الآيات الظاهرة**؛ للسيد شرف الدين الحسيني الأستربادي، الناشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤٠٧هـ» .

١٦- **تفسير نور الثقلين**؛ للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى عام : «١١١٢هـ»، تحقيق : السيد هاشم رسول المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة، الطبعة الرابعة : «١٤١٢هـ» .

١٧- **تهذيب الأحكام**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٣٨٥هـ»، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران : «١٣٦٥هـ ش» .

١٨- **حلية الأبرار**؛ للعلامة المحدث الخبير السيد هاشم البحراني، المتوفى عام : «١١٠٧هـ»، مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان : «ب-ت-ط» .

١٩- **الخطبة اليتيمة**؛ محفوظة في المكتبة الوطنية في طهران، ضمن مجموعة رسائل رقم «٧٥٥م» .

٢٠- **الجواهر السنية**؛ لمحمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي، المتوفى عام: «١١٠٤هـ»، الناشر: مكتبة المفيد، قم المقدسة. «ب-ت-ط».

٢١- **ديوان أمير المؤمنين** عليه السلام، شرحه وضبطه د عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، «ب-ت-ط» .

٢٢- **ديوان الشيخ الأوحد الأحسائي** قدس سره؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، المتوفى عام : «١٢٤١هـ»، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .

٢٣- **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**؛ للآغا بزرك الطهـــراني، دار الأضـــواء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية . «ب-ت-ط» .

٢٤- **روضة الواعظيـــن**؛ لمحمد بن الحسن الفتـــال، المتوفـــى عـــام : «٥٠٨هـــ»، الناشر دار الرضـــي، قـــم المقدســـة . «ب-ت-ط»، ومؤسسة الأعلمي، بيروت لبنـــان، الطبعـــة الأولى : «١٤٠٦هـــ ١٩٨٦م» .

٢٥- **الرسائل المهمة في لتوحيد والحكمة**، للميرزا حسن كَوهـــر، النجف : «١٣٨٥هـــ» .

٢٦- **شرح الفوائد**؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره، المتوفى عـــام : «١٢٤١هـــ» . «مخطوط» .

٢٧- **شرح الخطبة الطتنجية**؛ للسيد كاظم بن قاسم الحسيني الرشـــتي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٥٩هـــ»، «مخطوط» .

٢٨- **الصحيفة السجادية**؛ للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، المتـــوفى عام : «٩٥هـــ»، نشر الهادين قم المقدسة : «١٣٧٦» .

٢٩- **عوالي اللآلي**، لابن أبي جمهور الأحسائي، المتوفى في : «القرن العاشر»، دار سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة : «١٤٠٥هـــ» .

٣٠- **عيون أخبار الرضا** عليه السلام؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـــ«الشيخ بالصدوق»، عام : «٣٨١هـــ»، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٣٧٨ق» .

٣١- **علل الشرائع**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويـــه القمي، المعروف بـــ«الشيخ بالصدوق»، المتوفـــى عام: «٣٨١هـــ»، مؤسسة، بيروت لبنان، الطبعة الأولـــى: «١٤٠٨هـــ».

٣٢- **غاية المراد في تحقيق المعاد**؛ للشيخ محمد عبد علي آل عبد الجبار القطيفي، تحقيق : حلمي السنان، طبع ضمن «ثلاث رسائل» إسماعيليان، قم المقدسة إيران، الطبعة الأولى : «١٤١٦هـ» .

٣٣- **الغيبة**؛ للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٣٨٥هـ» تحقيق : الشيخ عباد الطهراني، والشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة إيران، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ» .

٣٤- **فروع الكافي**؛ لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى عام : «٣٢٨هـ»، دار الأضواء، بيروت لبنان : «ب-ت-ط» .

٣٥- **الفصول المهمة في أصول الأئمة**؛ للحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، تحقيق : محمد بن محمد حسين، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .

٣٦- **فقه الإمام الرضا عليه السلام**؛ للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، المتوفى عام : «٢٠٣هـ»، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام -مشهد، الطبعة الأولى- «١٤٠٦هـ» .

٣٧- **فضائل الشيعة**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، «المشهور بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، كانون انتشارات عابدي، طهران .

٣٨- **فهرس كتب المرحوم الشيخ أحمد الأحسائي** قدس سره؛ للشيخ أبي القاسم الإبراهيمي، كرمان : «١٣٦٧هـ» .

٣٩- **قرب الإسناد**؛ للشيخ عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت لبنان، الطبعة الأولى:«١٤١٣هـ» .

٤٠- **كشف الظنون**؛ لحاجي خليفة، المتوفى عام : «١٠٦٧هـ»، دار إحياء التراث العربي . «ب-ت-ط» .

٤١- **كشف الخفاء**؛ لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، المتوفى عام : «١١٦٢هـ»، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية : «١٤٠٨هـ» .

٤٢- **اللوامع الحسينية**؛ للسيد كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٥٩هـ»، «مخطوط» .

٤٣- **لسان العرب**، للعلامة ابن منظور، نشر أدب الحوزة- قم المقدسة : «١٤٠٥هـ» .

٤٤- **مستدرك سفينة البحار**؛ للشيخ علي النمازي الشاهرودي، المتوفى عام : «١٤٠٥هـ»، تحقيق : الشيخ حسن بن جمعة النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة : «١٤١٩هـ» .

٤٥- **من لا يحضره الفقيه**؛ للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، دار الأضواء- بيروت لبنان، الطبعة الأولى: «١٤٠٦هـ» .

٤٦- **مستدرك الوسائل**؛ للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى عام : «١٣٢٠ أو ١٣٣٠هـ»، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٨ هـ» .

٤٧- **مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام**؛ للحافظ رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلي، المتوفى حدود : «٨١٣هـ»، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ».

٤٨- **معاني الأخبار**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «المشهور بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٠ هـ» .

٤٩- **مناقب آل أبـــي طالب**؛ محمد بن شهر آشوب المازندراني، المتوفى عام : «٥٥٨هـــ»، دار الأضواء، بيروت لبنان : «١٤٠٥هـــ» .

٥٠- **مدينة المعـــاجـــز**؛ للسـيد هاشــم البحـــراني، المتـــوفى عـــام : «١١٠٧هـــ»، تحقيق الشيخ عزة الله المـــولائي الهمـــداني، مؤسســـة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى : «١٤١٣ ق» .

٥١- **مختصر بصائر الدرجات**؛ للشيخ عز الدين الحسن بن سليمان الحلـــي، المتوفى في القرن : «التاسع الهجري»، تحقيق : مشتاق المظفر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤٢١هـــ ق» .

٥٢- **المحاسن**؛ لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، المتوفى عام : «٢٧٤هـــــ»، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة : «١٣٧١هـــ» .

٥٣- **مجمع البحرين**؛ للشيخ عز الدين الطريحي، المتوفى عام: «١٠٨٥هـــ».

٥٤- **مفاتيح الأنوار**؛ للعلامة الشيخ محمد آل أبي خمسين، المتـــوفى عـــام : «١٣١٦هـــ»، تحقيق وتعليق : الشيخ عبد المنعم العمران، توزيـــع دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـــ» .

٥٥- **مصباح المتهجد**؛ لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوســـي، المتوفى عام : «٤٦٠هـــ»، تقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسســـة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى المصـــححة : «١٤١٨هـــــ»، ومؤسسة فقه الشيعة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١١هـــ» .

٥٦- **مصبـــاح الكفعمي**؛ لإبراهيم بن علـــي الكفعمـــي، دار الرضـــي «الزاهدي»، قم المقدسة : «١٤٠٥هـــ» .

٥٧- **كتاب المزار**؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بـ«بالشيخ المفيد»، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم المقدسة : «١٤١٣هـ» .

٥٨- **مفتاح الفلاح**؛ للشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، المعروف بـ«الشيخ البهائي»، المتوفى عام : «١٠٣١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان . «ب-ت-ط»

٥٩- **مصباح الشريعة**؛ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، المتوفى عام : «١٤٨هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان : «١٤٠٠هـ» .

٦٠- **نور البراهين**؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : «١١١٢هـ»، تحقيق : السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

٦١- **نهج البلاغة**؛ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المتوفى عام : «٤٠ هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي . «ب-ت-ط»، ودار التعارف، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٠هـ ١٩٩٠م» .

٦٢- **وسائل الشيعة**؛ للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، دار إحياء التراث العربي-بيروت لبنان، الطبعة الخامسة : «١٤٠٣هـ»، ومؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الثانية، «١٤١٤هـ» .

فهرس المواضيع العامة للكتاب